مدارات ونقوش

Orbits & Inscriptions

العدد (07) السنة الأولى - أغسطس 2018

عام زايد

شهرية تعنى بالتراث والأدب والتاريخ | تصدر عن مركز جمال بن حويرب للدراسات

زايد في مجلة المصوّر
باب العرب المفتوح

حصة بنت المر.. أم دبي وسيرة العطاء

السويدي يوثق رحلة ابن عتيبة إلى مكة

الحج في الكويت خلال قرنين

الرحلة الحجازية للولاتي

محمل الحج الشامي
حكايات عابرة في الطريق إلى مكة

رحلات الحج الإماراتية قديماً

دبي في صحيفة الشورى

«الرولة» أول مجلة مسرحية في الإمارات

«خضر لك» التركية.. المثوى الأخير لامرئ القيس

قصيدة ابن عجلان
حقائق تاريخية تصحح المفاهيم

الحج في الواقع الرقمي

كسوة الكعبة
احتفاء الخلفاء وعنوان الولاء

صورة الغلاف:

بعض مياه السيول تغمر الحرم المكي والكعبة الشريفة، في صورة تعود إلى يوم الأربعاء 23 ذي الحجة 1327 هـ (يناير 1910 م) وأطلق عليه اسم «سيل الخديوي» لأنه صادف وصول خديوي مصر عباس حلمي لأداء فريضة الحج ذلك العام.

08 زايد في مجلة المصور باب العرب المفتـوح

12 الشيخة حصة بنت المر بن حريـز أم دبـي وسيرة العطـاء

20 السويدي يوثق رحلة ابن عتيبة إلى مكة

24 الحج في الكويت خلال قرنين

28 الرحلة الحجازية للولاتي

32 محمل الحج الشامي حكايات عابرة في الطريق إلى مكة

34 رحلات الحج الإماراتية قديماً

40 «خضر لك» التركية.. المثوى الأخير لامرئ القيس

44 قصيدة ابن عجلان حقائق تاريخية تصحح المفاهيم

48 إمارة دبي في الصحافة العربية (1925-1931م) جريـدة الشورى نموذجاً

54 «الرولـة» بين المجلة والجريدة وتاريخ الريادة في الصحافة المسرحية

58 الحج والحجاز في كتب الرحالة

57 الطواش.. تاجر اللؤلؤ

64 نسائم السادس من أغسطس

مدارات ونقوش

شهرية تعنى بالتراث والأدب والتاريخ

العدد 07 السنة الأولى - أغسطس 2018

تصدر عن

مركز جمال بن حويرب للدراسات

رئيس التحرير

جمال بن حويرب

هيئة التحرير

حسين درويش

خليـل البـري

مريـم أحمـد

مـروى بيطـار

سكرتير التحرير

محمد بابا

المدير الفني

أيمـن رمسيس

الإعلانات والتوزيع والاشتراكات

+97143940309

info@jbhsc.ae

عنوان المركز

الإمارات العربية المتحدة - دبـي

الموقع الإلكتروني:

www.jbhsc.ae

Jbhscae | Jbhscae

Jbhscae | Jbhsc AE

قريباً في المكتبات

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

جمال بن حويرب
رئيس التحرير

كسوة الكعبة.. احتفاء الخلفاء وعنوان الولاء

سألني أحد الإخوة عن كسوة الكعبة المشرفة وتاريخها؛ إذ كان يظنُّ أنها لم تكن تكسى إلا في القرون المتأخرة فقلت له: الكسوة تاريخها قديم قد يعود إلى بداية وجودها في الأرض، ولكن لم يكن التدوين موجوداً حينئذٍ حتى نعرف كيف كانت تكسى في ذلك الوقت البعيد، ولهذا لم نعرف عن الكسوة إلا ما رواه الصحابة رضوان الله عليهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعض الأخبار التي رويت في بداية العصر الإسلامي وسجّلها المؤرخون. ولهذا سأقسّم مقالي المختصر هذا عن الكسوة إلى عناوين فرعية حتى نتعرّف إلى تاريخها.

معنى الكسوة

الكُسوة بكسر الكاف وضمها: اللباس، ويجمع على كُسا بضم أوله ويقال: كسي فلان واكتسى وكسوته وكسيته.

كسوة الكعبة قبل الإسلام

جاء في حديث رواه الواقدي بسنده عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن سب أسعد الحميري «تُبّع» وقال: هو أوَّلُ مَن كَسا البيت. وهذا الحديث ضعّفه العلماء بسبب تفرّد الواقدي بروايته لأنه ضعيف لديهم، ولكن يمكن أن نأخذ منه إشارة إلى أنَّ كسوة الكعبة في الجاهلية كانت تأتيها من جهة اليمن.

وفي رواية لصاحب المغازي محمد بن إسحاق يقول: «بلغني عن غير واحد من أهل العلم أنَّ أوَّلَ من كسا الكعبة كِسْوَةً كاملة تُبَّعٌ، وَهُوَ أَسْعَدُ الحميري، أُرِيَ في النوم أنه يكسوها فكساها الأنطاع (الجلود) ثم أُرِي أن يكسوها فكساها الوصايل وهي ثياب حِبَرَة (مخططة) من عَصَب اليمن، وجعل لها بابا يُغْلَقُ».

ومن هذه الرواية يمكننا أن نعرف نوعية الكسوة في تلك الأيام فهي كُسيت ببُسُطٍ من الجلود ثم بثيابٍ مخططةٍ يمنية.

الكسوة في الإسلام

كسا الكعبة الرسول صلى الله عليه وسلم وخليفته أبوبكر رضي الله عنه، ولما فُتِحَت مصر في عهد عمر كساها بكسوة القَباطي.. ثياب منسوبة إلى القبط ومن بعده الخلفاء، ويقال إنَّ معاوية رضي الله عنه كان يكسوها كسوتين؛ الديباج في عاشوراء، والقَباطي آخر رمضان. والقَباطي جمع قُبطية وهو ثوب أبيض رقيق.

ويقال إنَّ المأمون كان يكسوها ثلاث مرات؛ فيكسوها الديباج الأحمر يوم التروية (8 ذي الحجة)، والقباطي أوَّل رجب، والديباج الأبيض يوم 27 رمضان. ويروى أنه ابتدأ الكسوة بالأبيض سنة 216هـ حين سأل عن أحسن ما يكون في الكعبة فقيل له: الديباج الأبيض.

ومن هذه الروايات كانت كسوة الكعبة بيضاء في عصر الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين فمن كساها بالثياب السوداء؟

أوَّلُ من كسا الكعبة بكسوةٍ سوداءَ هو الناصر العباسي المتوفى سنة (622هـ)؛ فقد كساها أولاً بكسوة خضراء، ثمَّ كسوة سوداء واستمر الأمر على ذلك من ذلك العهد. وفي عام (751هـ) أوقف الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد قلاوون ملك مصر وقفاً خاصاً لكسوة الكعبة الخارجية السوداء مرة كل سنة، وكسوة داخلية حمراء وكسوة خضراء للحجرة النبوية الشريفة مرة كل خمس سنوات.

يقول ابن الضياء (ت:854): كسوة الكعبة الآن سوداء من حرير، وبطانتها من كتان أبيض، والكسوة الآن طراز مدور بالكعبة بين الطراز إلى الأرض قريب من عشرين ذراعاً، وعرض الطراز ذراعان إلا شيئاً يسيراً، مكتوب في الطراز على جانب وجه الكعبة بعد البسملة: «إنَّ أوَّلَ بيت وضع للناس.. إلى قوله: غني عن العالمين» صدق الله العظيم. وبين الركنين اليمانيين مكتوب بعد البسملة: «جعل الله الكعبة البيت الحرام... إلى قوله: بكل شيء عليم». صدق الله العظيم. وبين الركن اليماني والغربي مكتوب بعد البسملة: «وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل.. إلى قوله: التواب الرحيم». صدق الله العظيم. وبين الركن الغربي والشامي مكتوب بعد البسملة: كما أمر بعمل هذه الكسوة الشريفة الفقير إلى الله تعالى السلطان قلاوون اسم ملك مصر.

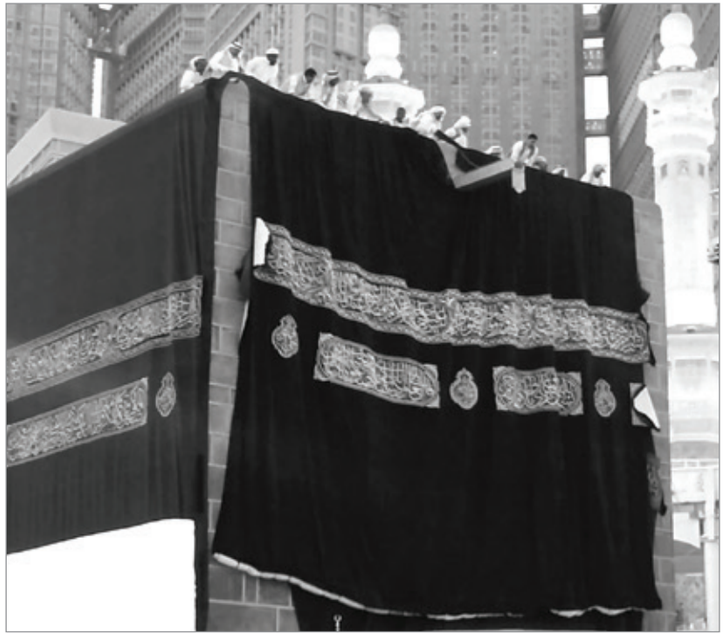

ارتباط الكسوة بالولاء

عمد بعض الأمراء إلى إجبار أشراف مكة على كسوتهم فقط كما فعل الملك قلاوون ملك مصر؛ فقد نقل المقريزي في حوادث 754هـ: «وفي شعبان: حلف الشريف أبو نمي أمير مكة للسلطان وولده بالطاعة لهما، وأنه التزم تعليق الكسوة الواصلة من مصر على الكعبة في كل موسم، وأنه لا يعلق عليها كسوة غيرها» وقد أمره أيضاً بحماية الحجيج ومساعدتهم وتسهيل حجهم.

هذا وقد استلم هذه المهمة من بعدهم العثمانيون، ومن بعدهم محمد علي باشا والي مصر، ولكن لم تخرج صناعة الكسوة من مصر إلا قليلاً، وكانت كسوة محمد علي خضراء تأتي عن طريق المحمل، كما كان يفعل ملوك مصر الذين سبقوه وتصنع في سوق الجمالين، زرتهم بنفسي، وأخذت عن أبناء الذين كان يعملون في الكسوة قبل أمر الملك عبدالعزيز بن سعود رحمه الله بعمل الكسوة في المملكة السعودية، ولعلي أخصِّص هنا مقالاً آخر عن المحمل الشريف.

jamal@jbhsc.ae

أسئلة وردت إلى المؤرخ جمال بن حويرب من خلال حسابات التواصل الاجتماعي وقد أجاب عنها بما يلي:

السؤال الأول: ينتشر في الشعر الشعبي مفردة «الكون» فما معناها؟ وهل لها جذور في الفصحى؟

ع.ب.السعودية

«الكون» في اللغة الشعبية تعني الحرب وقد شاع في الشعر والنثر كثيراً ومنه قول الشاعر الكبير الخلاوي:

من عوّد الصبيان ضربٍ بالقنا
نخوه يوم الكون يابا العوايد

ويقول الشاعر مبارك العقيلي:

بطي عميد الفخر من ساد الأقران
بالجود والماجود ووروده الكون

وفي الوثائق القديمة أيضاً تجد هذه المفردة عند الحديث عن الحروب وقد تلاشت هذه الأيام.

وأصل هذه المفردة فصيح، ولقد تطوَّرت عبر القرون حتى دخلت اللغة الشعبية في الجزيرة العربية بعد زوال الفصحى، قال ابن منظور في «لسان العرب»: «الكَوْنُ: الحَدَثُ» فأي حدثٍ يكون كوناً ويقال كان يكون كينونةً، وأي حدثٍ أكبر من الحرب، وقد جاءت إشارة إلى نفس المعنى الذي نعرفه للكون عند الزمخشري في معجمه أساس البلاغة فقال: «ومن المجاز: خرجوا يسترجفون الأرض نجدةً وأرجفوا في المدينة بكذا إذا أخبروا به على أن يوقعوا في الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم والإرجاف مقدّمة الكون». فكأنه يعني بالكون الفتنة والحرب.

السؤال الثاني: ما الفرق بين المصدر والمرجع؟ وما الدول التي كانت معاصرة للحروب الصليبية؟ وأي من الدول الإسلامية قاومتهم؟

س.م. مكة المكرمة

الجواب: المصادر هي المراجع كما يقول العلماء، وهي مفردات محدثة وأصلهما من الصدور من الماء بعد الشرب، والمرجع من الرجوع إلى الشيء. وهناك من يفرّق بينهما فيقول: إنَّ المصدر هو كتاب خاص بالعلم الذي يدور حوله البحث، أما المرجع فهو كتاب عام خارج المبحث، وبعضهم يقول: إنَّ المصادر كتب لم يؤلف مثلها من قبل، والمراجع هي التي تأخذ من المصادر، ولكن كل هذا تكلّف والصواب أنَّ المصدر والمرجع بمعنى واحد. أمّا الدول التي كانت معاصرة للحروب الصليبية فهي الدولة العباسية والفاطمية والزنكية والأيوبية والحفصية والمماليك والسلاجقة والمرابطين والموحدين، وقد اشترك في صدّ الصليبيين كل الدول المذكورة من سنة 490 حتى 670 هـ، وكانت النتيجة دحر العدوان وانتصار إسلامي كبير.

السؤال الثالث: تشيع في لهجتنا كلمة شبرية، فما معناها؟

عبدالله. الإمارات

الجواب: سئلت كثيراً عن معنى الشبرية، وهو موضوع محيّر لمن لم يشاهد السُّرُر القديمة، فهي لا ترتفع عن الأرض مقاس شبر، والشبر معروف وهو ما بين الإبهام والخنصر إذا باعدت بينهما ولهذا سمّيت شبرية، ولا يسمّى السّرير المرتفع شبرية، ولكن من كثرة استخدام هذا الاسم سمّى الناسُ عندنا كلَّ سرير شبرية؛ لأنَّ هذا النوع من السُّرر انتهى مثل قولنا روبية للدرهم؛ لأنَّ آباءنا كانوا يستخدمون الروبية الخليجية وبقيت في اللهجة حتى اليوم والشبرية أيضاً نوع من الخناجر بقياس الشبر.

السؤال الرابع: هل وصل العثمانيون إلى دولة الإمارات؟

محمد أحمد. الكويت

الجواب:

لم يكن للعثمانيين وجود في منطقة الخليج العربي، اللهمّ إلا بعض الحوادث البحرية قديماً مع البرتغاليين على فترات متفاوتة، وأوَّل وجود لهم جاء بعد حملة مدحت باشا ووصوله إلى منطقة الأحساء عام 1871م؛ فقاموا بتعيين الشيخ جاسم بن محمد بن ثاني قائم مقام في الدوحة، وزوّدوه بأعلام عثمانية وجنود أتراك ليستقيم له الأمر، وكان بعض من قبيلة القبيسات يسكن في تلك السنين في منطقة «العديد» الحدودية، ولم يستطع العثمانيون تخطي نفوذهم إلى أراضي الإمارات؛ لأنها كانت محميّة تحت العلم البريطاني، ولم يصلوا إلا إلى منطقة «العديد» الحدودية، حيث كان بعض الضباط الأتراك يزور قبيلة القبيسات، إحدى قبائل بني ياس التي كانت تسكن فيها، وهذا لا يمنع وجود جواسيس لهم في دبي والشارقة ينقلون لحكومتهم أخبار تحركات الإنجليز والشيوخ والقبائل كما وردت أسماؤهم في الوثائق العثمانية.

السؤال الخامس: هل قبيلة بني ياس بن عامر حلف أم قبيلة؟

حميد المزروعي. الإمارات

الجواب:

قبيلة بني ياس بن عامر قبيلة عدنانية يعود نسبها إلى عامر بن صعصعة من هوازن كما سمعته من أجدادي وقرأته عند المؤرخين النسابين، وهم قبيلة واحدة لها تفرعات، ودخلت فيها بعض الأسر من قبائل أخرى، إمّا من نفس عمود نسبها، وإمّا من جهة قحطان أخوال قبيلة بني ياس، وكان الشيوخ يرحبون بالفرسان من القبائل الأخرى وتحصل تحالفات سياسية واجتماعية على مرّ القرون، وحالها حال القبائل الأخرى في الجزيرة العربية، ولهذا نجد أنّ القبائل الكبرى التي شهدت تحالفات بقيت تسمّى باسمها، مثل شمر والدواسر وعتيبة ولم تسم حلف شمر والدواسر، وإن كانت كذلك حقيقة، وعديدهم أكثر بكثير من عديد قبيلة بني ياس، وعلى هذا فأنا أقول: إنَّ قبيلة بني ياس إلى ما قبل اتحاد دولة الإمارات كانت قبيلة واحدة وليست حلفاً، ولكن الآن بسبب التغيُّرات التي طرأت بعد قيام الدولة يمكن أن نسميها حلفاً والله أعلم.

نستقبل أسئلتكم على البريد الرقمي info@jbhsc.ae

زايد في مجلة المصور
باب العرب المفتوح

محمد بابا

الصحافة بكافة أشكالها ووسائطها أرشيف حي مملوء بالوثائق والمستندات التاريخية، ونتابع في «مدارات ونقوش» حضور المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيَّب الله ثراه، في الصحف العربية والعالمية، ومن ضمنها مجلة المصور المصرية، إحدى إصدارات دار الهلال، التي أسَّسها المؤرخ والأديب اللبناني جوجي زيدان عام 1892.

في مجلة المصور نطالع الكثير من التغطيات عن الشيخ زايد، بعضها عن مرحلة ما قبل الاتحاد، والآخر عن مرحلة ما بعد تشكيل دولة الإمارات العربية المتحدة، ففي عدد المجلة رقم 2288 بتاريخ 16 أغسطس عام 1966 تحقيق عن نهضة التعليم والصحة في أبوظبي، حيث تمَّ إنشاء سلسلة من المدارس، كما قدمت لمحة عن المدينة وعن تولي الشيخ زايد لدفة الحكم في الإمارة.

وورد في العدد السنوي الخاص من المجلة الذي حمل عنوان «نحن العرب» عن سنتي 1967-1968 حواراً مع الشيخ زايد حاكم أبوظبي حينها، وكتبت المجلة: "هذه الإمارة عربية وأبوابها مفتوحة دائماً لجميع الإخوة العرب"، وفي العدد رقم 2321 بتاريخ 4 إبريل سنة 1969 ورد في المجلة: «زيارة حاكم أبوظبي للكويت تفتح آفاقاً واسعة لمستقبل الخليج العربي»، مع تفاصيل عن زيارة الشيخ زايد إلى الكويت الشقيقة، حيث احتفلت الكويت حكومة وشعباً بزيارته.

وفي عدد المجلة رقم 2340 بتاريخ 15 أغسطس عام 1969 جاء في عنوان المجلة في الصفحة 40: «شعب أبوظبي يحتفل بالعيد الثالث لتولي الشيخ زايد الإمارة»، وكتبت المجلة في عناوين فرعية: «أول عرض عسكري يظهر في الخليج»، وفي عنوان آخر: «أول سلاح جوي يقود طائراته أبناء أبوظبي»، و«الشعب والوفود العربية حضرت لتشارك في الاحتفال بعيد جلوس الشيخ زايد»، كما ضمَّ التقرير صوراً من مظاهر احتفالات أبوظبي بهذه الذكرى.

> **ورد في العدد السنوي الخاص من «المصور» عن سنتي 1967-1968 حوار مع الشيخ زايد وكتبت المجلة: هذه الإمارة عربية وأبوابها مفتوحة دائماً لجميع الإخوة العرب**

قضايا وطنية وقومية

وتحضر في تغطيات المجلة، مشاركة الشيخ زايد إخوانه في الأقطار العربية ومواقفه من القضايا القومية حينها، حيث نجده يعبّر عن التضامن العربي في أكثر من مناسبة، كما تقدم زياراته ومساندته وحضوره الدبلوماسي، صورة عن دوره الفعّال، حيث أفرد عدد المجلة رقم 2331 الصادر بتاريخ 13 يونيو سنة 1969 تغطية لزيارة الشيخ زايد للأردن، حيث تفقّد بصحبة الملك حسين بن طلال، الخطوط الأمامية للجيش العربي الباسل على الجبهة الشرقية مع العدو الصهيوني.

وفي عدد مجلة المصور رقم 2344 الصادر بتاريخ 8 سبتمبر سنة 1969، جاء العنوان: «حاكم أبوظبي يبلغ المؤتمر تحمله مسؤولية القرارات التي يصدرها»، وتقصد المجلة مؤتمر السياحة العربي المنعقد في العاصمة الأردنية عمّان، وقراراته

في مواجهة الانتهاكات الصهيونية للمسجد الأقصى.

وجاء في العدد رقم 2453 بتاريخ 15 أكتوبر سنة 1971 خبر عن انعقاد البرلمان الأول في الخليج العربي، في إشارة إلى اجتماع المجلس الاستشاري في أبوظبي، وتحديد حاكم أبوظبي الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان لسياسة أبوظبي في وثيقة تاريخية.

وكتب خبر في عددها رقم 2429 بتاريخ 30 إبريل سنة 1971: «أبوظبي تطل على العالم الخارجي والعربي» تناول مباحثات الشيخ زايد في القاهرة.

وتحت عنوان «كيف قضى الشيخ زايد أيامه السبعة في القاهرة» حمل عدد المجلة رقم 2428 بتاريخ 23 إبريل سنة 1971 رصداً لجولة الشيخ زايد في القاهرة، حيث قضى أيامه السبعة متنقلاً بين حضارة مصر القديمة وتراثها العربي، كما التقى عدداً من الزعماء وعلماء الأزهر، وكان على موعد مع الخيول، حيث زار مزرعة لتربية الخيول الأصيلة.

النية.. قبل اجتماع الوزراء

وفي قصة مصورة، وتحت عنوان «قبل أن يبدأ أول اجتماع لمجلس الوزراء» أوردت «المصور» في عددها رقم 2440 بتاريخ 16 يوليو سنة 1971، قصة على هامش مراسم أداء الوزراء لليمين الدستورية أمام زايد، فقبل أن يؤدي الوزراء اليمين الدستورية أمامه دار حوار بين الشيخ زايد وأحمد خليفة السويدي وزير

تحت عنوان «المشروع الذي أنقذ مليون دولار كانت تحترق يومياً» تحدثت المجلة في أكتوبر عام 1977 عن إقامة مصنع تسييل الغاز في جزيرة داس ودور زايد في هذا الإنجاز

شؤون الرئاسة ووزير الخارجية، وكان للشيخ زايد رأي في القسم، فقال لأحمد السويدي، «ليست الألفاظ التي ينطقها الوزير أمام رئيس الدولة هي المهمة.. المهم قبل الكلام النية.. ولذلك يجب أن يكون الوزير مقتنعاً تماماً بالقسم قبل أن يقرأه..».

وتنقل لنا المجلة كيف أدّى بنفس الطريقة 16 وزيراً القسم أمام الشيخ زايد في العين، وبعد أن جلسوا قال الشيخ زايد: «لقد تحمّلت مسؤولية الحكم وحدي خمس سنوات، وأنا الآن أضعها في أعناقكم.. إنَّ مسؤولية الحكم ليست بالشيء البسيط؛ فالحكّام يتعرضون كلَّ يوم لإغراءات كثيرة وشديدة، وأنتم تمتلكون الكفاءة، ولكني أطالبكم أن تحاربوا في أنفسكم هذه الإغراءات..».

وفي العدد 2451 بتاريخ 1 أكتوبر سنة 1971 أوردت المجلة ردود الشيخ زايد على وكالة «رويتر»، حيث تحدث فيها عن تكوين جيش اتحادي من أبناء الإمارات، ومجموعة من القضايا الأخرى.

وفي العدد 2512 الصادر بتاريخ 21 ديسمبر سنة 1972 قدمت المجلة تقريراً عن افتتاح الدورة الثانية من اجتماعات المجلس الوطني الاتحادي، ألقى فيه الشيخ زايد خطاباً تحدّث فيه عن السياسة العربية والخارجية لدولة الإمارات.

تضامن عربي

وقدم الصحفي ممدوح رضا في رسالته من الإمارات في عدد مجلة المصور رقم 2663 الصادر بتاريخ 24 أكتوبر سنة 1975، حواراً صحفياً تحت عنوان «رئيس دولة الإمارات المتحدة يؤكد: نعم.. ما قامت به مصر في حدود ما قرره مؤتمر القمة العربي»، أشار فيه الشيخ زايد إلى أهمية الوحدة العربية والتضامن، مهيباً بدور مصر في هذا التضامن وتضحياتها الجمة.

وتناول العدد رقم 2660 الصادر في 28 مايو سنة 1975 معجزة التعمير وكيف تحقّقت بعد انتصارات أكتوبر ودور الشيخ زايد في هذا التعمير، من خلال مساعدته المادية السخية، وفي العدد 2681 بتاريخ 27 فبراير 1976 قدمت المجلة تقريراً عن

الشيخ زايد وبناء الانسان

الانسان هو العنصر الأساسي لكل تقدم

استقبال الشيخ زايد للرئيس المصري أنور السادات في أبوظبي، ضمن زيارته الخليجية، وتابعت المجلة الموضوع بتفصيل أكثر في عددها 2682 الصادر بتاريخ 5 مارس سنة 1976، حيث احتلت صورة غلاف المجلة لقطة من الزيارة تجمع الشيخ زايد وأنور السادات.

معجزة زايد على ضفاف الخليج

إيمانه العميق بالوحدة وإرادته القوية قهرت المستحيل

• سخر البترول لنهضة بلاده ورفاهية شعبه فصنع ملحمة الحب مع الجماهير

كما ألقى عدد المجلة رقم 2748 الصادر بتاريخ 10 يونيو سنة 1977 الضوء على زيارة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان لقناة السويس، وتمويله لمشروع القناة بمبلغ 50 مليون دولار.

وتحت عنوان «المشروع الذي أنقذ مليون دولار كانت تحترق يومياً» تحدثت المجلة في عددها رقم 2766 الصادر بتاريخ 14 أكتوبر سنة 1977 عن إقامة مصنع تسييل الغاز في جزيرة داس، ودور الشيخ زايد في هذا الإنجاز، الذي قالت إنه حلَّ مشكلة بيئية

المجلة تصف الإمارات بالدرة الذهبية على جبين الوطن العربي والصرح الشامخ الذي بناه زايد والصورة الجديدة المشرقة بالأمل والمعطرة بالمستقبل

ومالية، حيث كان يستنزف قرابة مليون دولار يومياً.

وفي عدد المجلة رقم 2780 الصادر بتاريخ 20 يناير سنة 1978 ألقت الضوء على مباحثات مهمة تسفر عن دعم التضامن العربي، وجاء العنوان «زايد وقابوس يلتقيان في ولاية صحار بعمان».

وقدّم عدد الصحيفة رقم 2767 الصادر بتاريخ 21 أكتوبر سنة 1977 حديثاً سياسياً شاملاً للشيخ زايد جاء فيه أنَّ قوة التضامن العربي تبرز واضحة في ظروف الأخطار، وقد تمَّ نقل هذا الحديث عن حوار دام ساعة ونصف بين الشيخ زايد وأحمد الجار الله رئيس تحرير جريدة السياسة الكويتية.

وتحت عنوان زايد يرأس حفلة تخرّج دفعة جديدة من الضباط قدمت المجلة تغطية في عددها رقم 2777 الصادر بتاريخ 30 ديسمبر سنة 1977، عن هذه الفعالية وثناء إيفان بورج وزير الدفاع الفرنسي على كفاءة وحماس منتسبي كلية زايد الثاني العسكرية.

وفي عدد 2778 الصادر بتاريخ 6 يناير سنة 1978 زايد وحسين يجتمعان من أجل التضامن العربي، حيث ألقت المجلة الضوء على زيارة الملك حسين بن طلال إلى أبوظبي، وأكد الشيخ زايد خلال هذه الزيارة أنَّ نتائج الخلاف بين الأشقاء مؤشر يوضح لنا الطريق الأمثل للعودة إلى الصف الواحد بصورة أقوى وأمثل.

وخط عنوانها في عددها رقم 2828 الصادر بتاريخ 22 ديسمبر سنة 1978 «أنظار العالم تتجه إلى دولة الإمارات العربية»، في إشارة إلى احتضان أبوظبي لاجتماع منظمة الدول العربية المنتجة للبترول «أوبيك» وحرص زايد على العمل العربي المشترك.

وفي عدد المجلة الصادر بتاريخ 10 مارس سنة 1979 غطت المجلة الاستقبال الرسمي والشعبي لملكة بريطانيا لدولة الإمارات، واستقبال الشيخ زايد للملكة.

الدرة الذهبية

وفي عدد المجلة رقم 3414 الصادر بتاريخ 16 مارس سنة 1990 وصفت المجلة الإمارات بالدرة الذهبية على جبين الوطن العربي، والصرح الشامخ الذي بناه الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، والصورة

الجديدة المشرقة بالأمل، المعطرة بالمستقبل الجديد الذي رسمه.

وفي العدد رقم 3424 الصادر بتاريخ 25 مايو سنة 1990 جاء في عنوان «الشيخ زايد وأطول جولة أسيوية يقوم بها زعيم خليجي»، فصلت زيارته التي استغرقت 17 يوماً وشملت الصين الشعبية واليابان وإندونيسيا.

وورد في عدد المجلة 3505 الصادر بتاريخ 12 ديسمبر سنة 1991 تقرير عن الشيخ زايد وبناء الإنسان؛ إذ يرى أنَّ الإنسان هو العنصر الأساسي لكل تقدّم وتنمية وازدهار.

وفي عدد المجلة رقم 2817 الصادر بتاريخ 15 ديسمبر سنة 1997 كتبت المجلة تحقيقاً تحت عنوان «معجزة زايد على ضفاف الخليج» تحدثت فيه عن إيمانه العميق بالوحدة وإرادته القوية التي قهرت المستحيل، حيث سخّر البترول لنهضة بلاده ورفاهية شعبه فصنع الحب مع الجماهير.

كيف قضى الشيخ زايد أيامه السبعة في القاهرة؟

يشار إلى أنّ مجلة المصور تصدر عن دار الهلال المصرية التي أسَّسها جورجي زيدان سنة 1892، وقد بدأت بالصدور سنة 1924، وهي مجلة أسبوعية شاملة، وترأس تحريرها كتّاب وأدباء كبار مثل أحمد بهاء الدين، ويوسف السباعي وغيرهم.

الشيخة حصة بنت المر بن حريز أم دبي وسيرة العطاء والوفادة

من النساء الخالدات في تاريخ الإمارات، امرأة لا يزال اسمها يتردد كثيراً بين الناس، ولا يذكرونها إلا بالكرم والعقل الرزين الراجح والحزم الذي لا يطيقه الرجال، هذه هي الشيخة حصة بنت المر بن حريز من فرع المقاعدة من آل بوفلاسة أحد أهم فروع قبيلة بني ياس بن عامر وفيها بيوت الحكم من آل مكتوم حكّام إمارة دبي، في «مدارات ونقوش» نقرأ بعضاً من سيرة هذه السيدة الكريمة.

خور دبي حيث تطل بيوت الشندغة الحي الذي تربت فيه حصة بنت المر

إن زودنا التاريخ القديم والحديث للبلاد العربية بأخبار ما لا يحصى من أعلام الرجال، فقد تجاهل للأسف الحديث عن أعلام النساء اللواتي كان لهن دور بارز وعمل قياديٌّ في المجتمع ولم أعرفْ لهذا التجاهل من تفسير سوى تعمد غمط حق المرأة في الظهور لمصلحة الرجال وخاصة في القرون الأخيرة التي كان كثير منها قرون تخلف وهوان وجهل لأسباب عدة ليس هنا مكان الحديث عنها، والمرأة فيما قبل ذلك كانت تشارك في العلم والشورى والتجارة وبلغت حتى السياسة، وهذه أم المؤمنين أم سلمة هند بنت سهيل رضي الله عنها يستشيرها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في وقت صلح الحديبية، وذلك أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لما صالح أهل مكة وكتب كتاب الصلح بينه وبينهم وفرغ من قضية الكتاب قال لأصحابه: قوموا فانحروا ثمَّ احلقوا للتحلل من إحرام العمرة. فلم يقم منهم رجل وصعب الأمر عليهم بعد أن قال ذلك ثلاث مرات. فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس. فقالت له أم سلمة: يا نبي الله أتحبُّ ذلك، اخرج ثمَّ لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، فقام- عليه الصلاة والسلام- فخرج فلم يكلم أحداً منهم كلمة فنحر بدنته ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً، ولم يقل رسول الله كما يشيع بعض من لا علم له المثل المشهور: شاوروهن واعصوهن؛ أي استشيروا النساء فما أشرن به فافعلوا عكسه لأنه الصواب، وهذا من الافتراء والتعدي بغير وجه حق.

وهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها كان يسألها كبار الصحابة في أحكام الشريعة، وتستفتى وتفتي وتشاور وتشير عليهم بما فتح الله عليها، وهناك أمثلة كثيرة لا يسع هذا المقام لحصرها.

الهمة العالية

وإذا عدنا إلى التاريخ الحديث فهناك نساء لا يستطيع التاريخ أن يتجاهل وجودهن؛ لأنهن أثبتن أنفسهن بالعقل الراجح والهمة العالية والحكمة التي تفوق كثيراً من حكمة الرجال ومنهن السيدة موزة بنت الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي مؤسِّس الدولة البوسعيدية في عمان والتي كان له دور في إرساء دعائم الحكم والدفاع عن عمان ومساعدة الناس ولها أفضال كثيرة حتى قيل: إنَّ اسم موزة انتشر بسببها تيمناً بها، وقد عاشت خلال الفترة (1749 – 1832 م) وكانت أيضاً وصيةً على السلطان سعيد بن سلطان حتى تولى الحكم، وأخبارها مدونة في التاريخ العماني.

وأضرب لكم مثلاً من الإمارات، امرأة من الخالدات لا يزال اسمها يتردد كثيراً بين الناس، ولا يذكرونها إلا بالكرم والعقل الرزين الراجح والحزم الذي لا يطيقه الرجال.. هذه هي الشيخة حصة بنت المر بن حريز من فرع المقاعدة من آل بوفلاسة أحد أهم فروع قبيلة بني ياس بن عامر، وفيها بيوت الحكم من آل مكتوم حكّام إمارة دبي.

والدها المر بن حريز من كبار نبلاء قبيلة بني ياس ومن فرسانها المشهورين، وكان مقدراً بين الناس؛ حكامهم وعامتهم، فإذا كان السلم فهو من أهل الرأي والجود والمنزلة الكبيرة، وإذا كانت الحرب فهو من أهل القيادة والقوة والحزم والجسارة، حتى قيل إنَّ المر يساوي لوحده مجموعة من الفرسان، ولا أستبعد هذا فصيت الإنسان وشكله وجسارته تقذف في قلوب الأعداء الرعب، والمر- رحمه الله- كان كذلك، ولا أنسى عمها عبدالله بن حريز- رحمه الله- وهو ذو رأي سديد وحكيم يعرف مداخل الأمور ومخارجها ويستعان به في أحلك الظروف فيجدون عنده الرأي الصواب.

ووالدة حصة السيدة الكريمة شيخة بنت سليمان آل مالك ووالدها شيخ قبيلة الشحوح القبيلة الأزدية الكريمة المعروفة في شمالي الإمارات، وكان والدها في منطقة بخا التي تقع اليوم في سلطنة عمان الشقيقة.

سليلة البيت الكريم

ولدت الشيخة حصة في منطقة الشندغة بدبي عام 1890م تقريباً، ونشأت في هذا البيت الكريم نشأة كريمة؛ فأخذت من والديها كريم الصفات، ولا أستبعد أن تكون تعلَّمت القرآن الكريم وبعضاً من مبادئ الكتابة، حيث كانت «المطوعات» تعلِّم الصغار من أولادٍ وبناتٍ قراءةَ القرآن الكريم، ويتم تحفظيهن شيئاً من قصار الصور، وكانت العادة أن لا تطول بهن الدراسة أكثر من ذلك؛ فأغلبهن يتزوجن وهن في تلك الفترة، ويقمن بمساعدة أمهاتهن في شؤون البيت، لا كما نراه اليوم حيث تتكافأ الدراسة بين الطلبة والطالبات بل أعدادهن تزيد على الطلبة.

في سنة 1906م، في أواخر حكم الشيخ مكتوم بن حشر بن مكتوم حاكم دبي، أو بداية حكم الشيخ بطي بن سهيل، تزوج الشيخ سعيد بن مكتوم الشيخة حصة بنت المر، وكانا صغيرين؛ فالشيخ سعيد كان عمره 18 سنة وهي أصغر منه وقال العقيلي في هذه المناسبة قوله:

ولدت الشيخة حصة في منطقة الشندغة بدبي سنة 1890م تقريباً ونشأت في هذا البيت الكريم نشأة خاصة فأخذت من والديها كريم الصفات

الشيخ راشد بن سعيد في شبابه

هنّيت ببلوغ المنى والمطاليب
يا نجل شيخٍ للثنا الجزل كسّاب
هنّيت يا ابن الأكرمين الأطاييب
أعلا نسب ياسٍ إذا عدّ الانساب
هنّيت يا راعي الهلا والتراحيب
يا اللى نشا ابحبوبة العز وآداب
هنيت ياللى هذبته التجاريب
بوصال خلٍّ من هل الجود انجاب
الفوز لك وافاك سيد الرعابيب
الأغيد المحفوظ عن كل ما عاب
ريمٍ نشا دونه أسودٍ عواطيب
ياسيةٍ ما حدٍ ينبشْ لها أسباب
فزنا وكل الناس حتى الأجانيب
وافا السعد به للملا والنحس غاب
والله يبارك في اجتماعٍ على طيب
ويسر اهله في المبادي والأعقاب
ويولف الزوجين إلفة تحابيب
ويجيرهم من حادث الدهر إن ناب

نعم، استجاب الله دعاء الشاعر والناس وألّف الله بين الزوجين الكريمين وصارت الشيخة حصة نعم المعين والصديق والمستشار والزوجة الصالحة لزوجها الشيخ سعيد، وما أسعدها به وما أسعده بها؛ فقد كانا مثالاً على ألسنة الناس للجود والدين والكرم.

فالشيخ سعيد بن مكتوم من الحكّام الذين سطّروا أسماءهم في سجل الحكّام العادلين الصالحين، فهو الشيخ الكريم ابن الكريم صاحب الفضل المعروف، والتقى المشهور الذي جعل من حكمه سبيلاً إلى الآخرة، وجعل من نفسه والداً للجميع، لا يضام من هو في كنفه، ولا يرد السائلين وإن كثروا، يعطي وينفق حتى يقال إنه من كثرة إنفاقه لا يبقي لنفسه شيئاً ممَّا جعله علامة مضيئة في تاريخ الإمارات.

ولد في دبي سنة 1888م ونشأ كما ينشأ آل مكتوم على الأخلاق الطيبة والسمت الحسن والكرم والشجاعة، وعرف من صغره بالتقى والورع حتى صار مضرب المثل فيه كما قال العقيلي:

هنيت يا اللى ما رمي بالعذاريب

من صغرته والنفس ما صابها إعجاب

هنيت ياللى قايمٍ بالمواجيب

للجار الأدنى والأقارب والأصحاب

وفي سنة 1894م تولى والده الشيخ مكتوم بن حشر الحكم بعد وفاة الشيخ راشد بن مكتوم وبقي حاكماً حتى سنة 1906م عرف خلالها بالعدل وحب الخير وحسن السيرة بين الناس وكان يقرب العلماء والأدباء، وكان ذا شجاعة ومهابة، ومنه ورث الشيخ سعيد هذه الصفات، وكان من الطبيعي أن يخلف أباه في حكم دبي ولكنه في ذلك الوقت لم يزل صغيراً.

ولهذا اختار آل مكتوم والشعب الشيخ بطي بن سهيل ابن عم الشيخ مكتوم، أن يخلفه على إمارة دبي وامتدَّ حكمه حتى سنة 1912م، وتولى الحكم من بعده الشيخ سعيد بن مكتوم الذي قام بأعباء هذه المسؤولية العظيمة خير قيام، وقد شهد الناس جميعاً على أنَّ هذا الرجل كان

الشيخ راشد في رحلة قنص في بر دبي

أحد القادة العظام الصالحين.

نهج الشيخ سعيد في حكمه نهج العدالة، وأشاع التسامح والخير بين الناس وأحبه القاصي والداني، وتواترت عنه قصص الكرم والطيب والدين، وقد بلغ فيها مبلغاً لا أعرف حاكماً بلغه في زمنه.

كان، رحمه الله، لا يعرف أن يردَّ سائلاً ولا يقول «لا» لطالب حاجة، بل يعطي عطاء الواثق الذي يؤمن بأنَّ الله سيعوضه مع قلة الأموال وشح مصادر الدخل آنذاك.

يُذكر أنَّ سائلاً جاءه في حاجة له فقال : «عد إلينا في وقت آخر». فقال رجل كان في مجلسه لماذا لا ترده عنك، فقال له الشيخ سعيد: «اليوم لا أستطيع تلبية حاجته، وعسى الله أن يعينني على قضاء حاجته عندما يعود لي».

فهو كما قال الشاعر:

هو البحْرُ من أيِّ النواحي أتيتهُ

فلجته المعروفُ والجودُ ساحلهْ

تعوّد بسْط الكفِّ حتى لو أنهُ

أرادَ انقباضاً لم تطعه أناملهْ

سيرة عطرة

لا نستطيع في هذه العجالة أن نوفي جزءاً قليلاً من تاريخ الشيخة حصة بنت المر وزوجها الشيخ سعيد بن مكتوم آل مكتوم، ولا من أعمالهما، ولكني أضرب مثلاً للناس، لكي يعرفوا أنَّ لهم ماضياً جميلاً على رغم صعوبته وتفشي الفقر والأمراض، ولكن الله يبعث للناس من قادتهم مَن يعينهم على حياتهم ويخفف عنهم.

وعن الشيخ سعيد وعن ورعه وتقواه فحدِّث ولا حرج؛

كانت نعم المعين والصديق والمستشار والزوجة الصالحة لزوجها الشيخ سعيد وكانا مثالاً على ألسنة الناس في الجود والدين والكرم

فسيرته عطرة مشهورة وكان الناس يروونها ويتناقلونها فيما بينهم ويتسامرون بها، وكذلك زوجته الشيخة حصة من كثرة إنفاقها وكرمها مع قلة ما في اليد في ذلك الوقت العصيب، ومما تواتر من قصص الشيخ سعيد أنه قدم رجل من سفره في ساعة متأخرة من الليل، فلم يرد أن يوقظ أهله فأحبَّ أن يبقى في المسجد حتى الصباح ثمَّ يقدم على أهله مبكراً، فلما اقترب وقت آذان الفجر سمع صوت الماء يسكب في حوض المسجد فقام ليتوضأ، فلما اقترب من الحوض وجد الشيخ سعيد يسكب الماء بنفسه فقال له الرجل: أنت حاكم البلاد وأرواحنا فداؤك فدعني أنا أقوم بهذا العمل عنك. فابتسم الشيخ وقال: «هل تريد أن تحرمني من الأجر».

ومن قصص حلمه الكثيرة أن رجلاً أساء في أمر يخص الشيخ سعيد، فكظم غيظه ولم يعاقبه على إساءته، فبقي الرجل متململاً خائفاً لا يدري ما يصنع، يقول: لو عاقبني الشيخ أفضل لي من هذه الحالة التي أنا فيها، فما كان منه الا أن قدم الى مجلس الشيخ سعيد، وقال:

باتوب توبهْ ما وراها هنّهْ

لسعيدْ كانه ذنبيهْ ممحنهْ

وابليسْ يا كمْ واحدٍ مغوّنهْ

قبلي غوى آدم وأظهره من الجنّهْ

الشيخ راشد وإلى يمينه بعض أعيان دبي

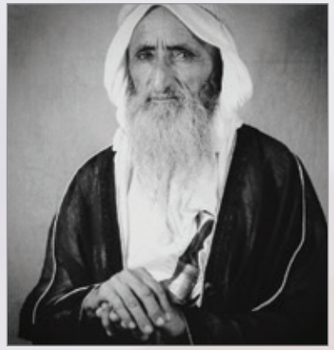

الشيخ سعيد بن مكتوم

فقال له الشيخ سعيد: «هوّن عليك، فإني نسيت ما صنعت يريد أن يخفِّف عليه لما رأى شدة الأمر عليه».

وقد مرت في عهده كثير من الأحداث العصيبة التي قام بإدارتها واحتوائها بحلمه وعدله وحزمه، وكان من أشدها سقوط سوق اللؤلؤ الطبيعي مصدر قوت جميع أهل الساحل، وكانوا يعانون في طلبه والغوص عليه الأمرّين، حيث يقضون الأشهر في البحر حتى يعودوا إلى دورهم بدراهمَ «روبيات» معدوداتٍ ولكنها كانت تكفيهم؛ لأنَّ القناعة كانت صفة من صفاتهم، ولكنهم بكساد سوق اللؤلؤ كسدت الأسواق وفقد الناس مصدر رزقهم الأول، هنالك وقف الشيخ الكريم جنباً إلى جنب مع شعبه وشاركهم آلامهم، وأعانهم بكل ما يستطيعه حتى تخطى الناس تلك الفترة العصيبة من حياتهم.

ومن العجيب أنه مع تدهور سوق اللؤلؤ وتراجع اقتصاد الخليج بأكمله، لكنّ تعداد سكان دبي زاد ثلاثة أضعاف وما ذلك إلا بسبب حكمته البالغة وسياسته السديدة رحمه الله تعالى.

وكان من كمال حنكته أنه لما رأى ابنه الشيخ راشد قد ملك أهلية القائد، وقد رباه وهيَّأه أحسن تهيئة، والابن سرُّ أبيه كما يقال، وكان الشيخ سعيد يعاني من ضعف بسبب المرض فقام الشيخ بإسناد كثير من مهمات الحكم إليه ناصحاً له وموجهاً، حتى بلغ الشيخ راشد القمة في إدارة البلاد في حياة أبيه.

مصباح الديرة

وكانت زوجته الشيخة حصة بنت المر معه في كل ذلك، تقف إلى جانبه وتساعد المحتاجين وطلبة العلم والأرامل وأبناء السبيل، وفي نفس الوقت تسهر على تربية أبنائها الشيخ راشد بن سعيد الذي ولد سنة 1912

اتصفت بالحكمة والرأي السديد وأشارت على زوجها بالأفضل والأصلح للإمارة وأفضالها على دبي وشعبها أكثر من أن تحصى

تقريباً، وشقيقه الشيخ خليفة بن سعيد الذي يصغره بسنوات قليلة، وكذلك بناتها التي أحسنت تربيتهن وكانت نعم الأم المربية المعلمة.

يقول فيها الشاعر خلفان بن يدعوه المهيري رحمه الله في قصيدة طويلة:

يحمون بالفولند خودٍ عفيفه
من الحور وهيه من ربايب خدورها
ما شفت أنا إلا عن خصايل فعالها
حسن يدليني على حسن طورها
حورية ما خلج في الغيد مثلها
يا مشمع الديره ومصباح نورها
لك الجود والماجود والأمر كله
يا كعبة الوفاد لى من يزورها

ثم يتخلص لمدح والدها الفارس المر بن حريز فيقول:

يا بنت من يذري ويلجي ويلتقي
صدور الأعادي لى تلاقت صقورها
وين الهناوي يوم «حرمول» جندله
ودعاه في البيدا فريسة نسورها
تولا بلاده في قدر نص ساعه
فتحها وطيّر في حصنها نشورها
هذي فعايل بوك في حزة اللقا
يشهد لفعله بدوها مع حظورها

يشير الشاعر هنا إلى معركة حرمول بسلطنة عمان، وكان قد حصل تمرد فيها في أواخر القرن التاسع عشر، واتجهت قوات بني ياس من دبي مباشرة إلى هذه المنطقة، حيث بنو ياس وسلاطين عمان حلف واحد منذ قرون، وقد أبلى المر بن حريز في هذه المعركة بلاءً حسناً

الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم

وكان بسببه النصر، وكم من قصص ومواقف له! وهذا ما يعنيه الشاعر ثم قال:

وانتِ سلكتي بالسخا سلك منهجه
الله يجيرك عن حواسد شرورها
والله يبارك في خليفه وراشد
هم زهوة المحيا وللدار سورها

في سنة 1929م حصلت بعض الظروف الصعبة، وكان الشيخ سعيد كثير الورع كما أسلفت ولا يحب إلا تطييب النفوس، ولا يؤذي أحداً؛ لا بكلمةٍ ولا بفعلٍ؛ فتدخلت الشيخة حصة بكل ما أوتيت من حكمة ورأي سديد وأصلحت الأمور وأشارت على زوجها بالأفضل والأصلح للإمارة، وقد تكرر منها هذا الأمر فأفضالها على هذه الإمارة وشعبها أكثر من أن نحصيه.

ومن قصصها في مساعدة الناس؛ أنه جاء رجل من المناطق الشمالية من الإمارات وكان يعمل في البحر مع مجموعة من الرجال، وفي ذلك الوقت لم يكن لديهم كثير من الزاد، فكان يأتي إلى الشندغة ويجول مع أهل العيالة، ثم يأخذ الأكل له ولأصحابه الغرباء عن المنطقة، فنهره أحد الذين يشرفون على وضع الطعام؛ فوصل إلى سمعها وكانت البيوت متقاربة، وقالت بعد أن رحبت به: مَن أنت؟ فقال: أنا فلان وأعمل في البحر وآخذ الطعام لأصحابي فقالت: خذ ما تشاء لك ولأصحابك في أي وقت، يقول الرجل: فبقيت أذهب وأرجع وآخذ الزاد لأصحابي، وقلت هذه البلدة التي يجب أن أعيش فيها تحت ظل هؤلاء الشيوخ الكرام وانتقل إلى دبي.

وأخبرني السفير الشيخ أحمد بن علي آل مبارك، رحمه الله، أنه في أول طلبه للعلم وهو صغير رحل ليتعلَّم في الأزهر، فقدم إلى دبي ثمَّ استأذن للسلام على الشيخة حصة فدخل عليها وسلم فرحبت به وأكرمته وسألته عن أهله آل المبارك، لأنها تعرفهم وأعطته ما يعينه على السفر وقال: رحمها الله شعرت من حفاوتها بي بأني واحد من أبنائها.

وكانت تحتفي بالعلماء وتقدرهم وترسل لهم المعونات من غير طلب، وهذا الشيخ محمد نور بن سيف يكثر من وصفها ومدحها بمحاسن الأخلاق، وأنها كانت معين العلماء وطلبة العلم كما سيأتي من قصيدته العصماء في رثائها.

ولها مع الشعراء وإكرامها لهم قصص كثيرة، وقد قالوا فيها كثيراً من الشعر ضاع أكثره بسبب قلة التدوين، ومن ذلك قول الشاعر علي بن مشوط المري بعد عودة الشيخة حصة من منطقة خصب في عمان، وقد مرت للسلام على خالتها أم الشيخ مجرن بن سلطان المري المتوفى سنة 1945م فقال محيياً لها:

يا حي من يانا في لبلاد
ذرب المعاني زين لعيون
سيد النسا لى بالحسن زاد
لى فايقٍ عن كل مزيون
شوفه شفا عن كل الايهاد
بويادلٍ ما بين لمتون

فزجره بعضهم وقال له أين رأيتها؟ فقال:

حاشا ولا عندي به حياد
اسمع كلام اللى يقولون
بنت الشجاع ونسل الافهاد
والمر يطرا حزة الكون

الشيخ سعيد بن مكتوم مع بعض مرافقيه

ومن ذلك أيضاً الرسالة التي أرسلها العقيلي للسيد تيمور بن فيصل يقول فيها واصفاً الشيخة حصة ونجلها الشيخ راشد:

وقد علمت ما قاله المتنبي في أم سيف الدولة:

ولو أن النساء كمن فقدنا
لفضلت النساء على الرجالِ

وأتمنى أنه بقي حيّاً إلى اليوم؛ ليرى أنَّ في دبي من ذوات الحجال وربات الكمال من تباري بفضلها وشرفها كمّل الرجال، إن وهبت أغنت، وإن وجدت أفنت، وشرفها كامل وجاهها طائل وأنا القائل:

أيا ابنة الرجل المحذور سطوته
وأم خير فتى في باعه طولُ
لم يهوَ غير المعالي منذ نشأته
وكل هاوٍ بما يهواه مشغول
لم يثنه عن لقاها قول ذي خور
ولم يخوّنه إرجاف وتهويل
بيض مناقبه صفر مواهبه
حمر قواضبه ما قال مفعول
يا حصة فاق كل الحص جوهرها
يتيمة العقد والباقي تنابيل

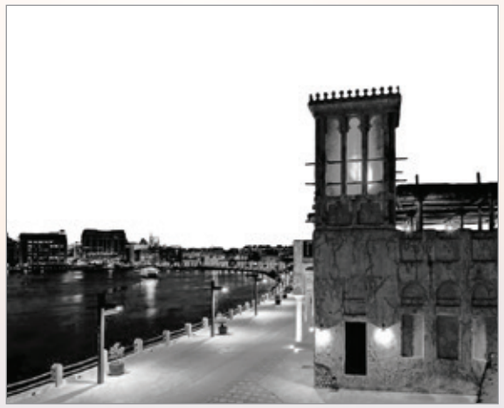
الشندغة

إن كنت للمجد قد أنجبت أوسمة

فأنت للمجـد فـوق الهام إكليل

وقـد كان يـوم وفاتها فـي سـنة 1946 يوماً حزيناً على كل أهـل دبـي؛ فقـد فقـدوا والدتهـم الحنونـة وكان الشـيخ سـعيد فـي قمـة حزنـه عليهـا، وأبناؤهـا خاصـة الشـيخ راشـد الـذي كان قـد نـاب عـن أبيـه فـي حكـم دبـي بسـبب المـرض؛ فكانـت الشـيخة حصـة توجهـه وتعينـه وترشـده لمـا ينفعـه وينفـع شـعبه، وقـد قـال الشـيخ محمـد نـور سـيف قصيـدة مـن روائـع أشـعاره وطلـب مـن الأسـتاذ أحمـد بـن حافـظ أن ينشـدها فـي آخـر أيـام العـزاء فـي بيـت الشـيخ سـعيد بالشـندغة، وهـذا جـزء منهـا لأنهـا طويلـة:

وهذا مصاب في الحقيقة شاملٌ

فمعروفها المعروف قد عمّنا طرا

فـإن تـك قـد أودت فـإنَّ فعالهـا

وإحسانها في الخلق أحيا لها ذكرا

لقـد كنـت غوثـاً للعفـاة ونعمـة

فكـم منـنٍ أوليتهـا دائمـاً تتـرى

لقـد كنـت للأرحـام أكـرم واصلٍ

فكم قد حووا منك الأيادي والخفرا

وكنت لأهل العلم أفضل مكرم

فكم أحرزوا من فيض أفضالك الغمرا

لقد كنت للأيتام كهفاً ومـوئلا

توالينهــم عطفـا وتولينهـم بـرا

لقد كنت للملهوف عونا وملجأ

وكم بائس قد نال من رفدك الخيرا

لقد كنت للعاني ملاذاً ومعقلا

وكم معدم قد حاز من جودك اليسرا

لقد كنت في فعل الجميل فريدة

وكـم بـردّت نعماك من كبدٍ حرا

لقد كنت في رحمى المساكين آية

وكم من فقيرٍ قد جبرتِ له كسرا

وكنـت لأبنــاء السبيــل مثابــة

وللضعفا قـد كنت مرحمة كبرى

أياديك نحو الشرق والغرب يممّت

وفي الحرمين الآمنين غدت تُدرى

هـذه شـهادة مـن عالـم كبيـر وصالـح ورع ولـم يجـاوز فـي رثائهـا قدرهـا، بـل كانـت الشـيخة حصـة بنـت المـر هكـذا وأكثـر، رحمهـا اللـه رحمـة واسـعة وأسـكنها فسـيح جناتـه.

دبي القديمة

السويدي يوثق رحلة ابن عتيبة إلى مكة

محمد أحمد السويدي*

حدثنا العم سعيد بن أحمد خلف العتيبة، عن رحلة والده إلى الحج عام 1359 للهجرة.

وإذا قلبنا أوراق التاريخ الحديث، فسنجد أنَّ في ذلك العام أعيد انتخاب الرئيس الأميركي «روزفلت» للمرّة الثانية، وكانت الطائرات الألمانيّة تدكّ لندن بالقنابل، و«ولت ديزني» يجرّب فيلمه الطويل «بونوكيو»، و«جو لويس» يسقط الأبطال في الوزن الثقيل بالملاكمة، وفرانك سيناترا يطلّ إطلالته الأولى على جمهور إنديانا بوليس، و«الجيب» سفينة الصحراء المرتقبة توشك على الظهور.

في ذلك العام، عزم الجدّ أحمد على القيام برحلة الحج إلى مكّة والمدينة، وقد صادفت الوقفة فيها 8 يناير عام 1941. علماً بأنّ ذلك العام شهد وقفتين، وكانت الثانية في 25 ديسمبر، وهي الوقفة التي غرقت فيها مكّة بالأمطار.

وإذا صادفت الوقفة الثامن من يناير، فهذا يعني أنّهم غادروا البلاد في (طالع الإكليل)، في قرابة العاشر من ديسمبر 1940؛ أي في «مربعانيّة» الشتاء، وهي في المخيال الشعبي «مقرعة البيبان» التي قالت متوّعدة الناس: «إذا ما عجبكم حالي بأرسل لكم السعود خوالي». والسعود في فبراير ومارس، وهي سعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود.

بدأت الرحلة بعد أن عزموا على الحجّ، وعقدوا النيّة لبلوغ مكّة والمدينة، فاستقلّ أحمد بن خلف ومعه زوجاته: آمنة بنت سلطان بن مجرن، وأبناؤها عبد الله (جدّي ووالد والدتي) وبطي، والعفّاد، وشمّا بنت محمد المزروعي، وولدها محمد، وابنتها نورة وابنها محيميد بن أحمد بن حبتور، وفاطمة بنت خلفان المحيربي، وابنتها حمدة (أم أختي موزة)، وهي أولى زوجات الوالد.

وكان من ضمن الركب العمة شمسة بنت أحمد السويدي، زوجة حامد بن بطي وأم أحمد بن حامد وهي عمة الوالد، وكذلك ضمّت الرحلة خليفة بن يوسف وسلطان بن يوسف، وفالح الصومالي ومحمد بن عبد الله بن معضد وراعي الصرّة حمد بن قطامي وبو زاهره منصور بن غانم واستقلّوا جميعاً مركباً كبيراً لأحمد بن خلف يسمّى «فتح الباري».

وعلى الرغم من أنّهم استقلّوا وسيلة فارهة، مقارنة بالسفر فوق ظهور الإبل، إلا أنّها كانت متعبة إذا ما قورنت بالسفر في أيّامنا هذه، حسبك أنّ جميع المسافرين، رجالاً ونساء وأطفالاً، كانوا يفترشون سطح السفينة مجلساً وملعباً ومكاناً للنوم.

> **خرج الناس لتوديعهم من منطقة رأس البرّ وكان يوماً مشهوداً في الذاكرة الظبيانية**

> **أبحرت السفينة قاصدة ميناء العجير فأيقظت تذكر الرحلات الموسمية إلى دلما حيث كانت السفن تمخر عباب الخليج بحثاً عن هيرات اللؤلؤ**

أحمد بن خلف العتيبة وأنجاله وأحمد بن حبتور في صورة تعود إلى سنة 1939

ذاكرة ظبيانية

ولكن السيّد عبد الله الهاشمي كان له رأي آخر عندما هنّأ الجد أحمد بن خلف بمناسبة شرائه السفينة «فتح الباري»:

مترحّل عن بوظبي بالعشيّه
متزوّد طيب الثنا وزين لعلام
لا شدّ كور ولا تزّمل مطيّه
إلا على لنج على اليم عوّام
فتح من الباري وهذا سميّه
منحوت من ليحان ساج وبرهام
فلك ويعدي به كروخ قويّه
في كل وجهه له تياسير واولام
له فنّة رحب فناها بهيّه
مفروشة لكنها كشك الاروام
يشعل بها التريك ناره زهيّه
بعيد الضحى فيها وتنزاح الاظلام
يا بوسعيد مبارك ذا الشريّه
الله عساها قادمه خير الاقدام

وخرجت أبوظبي عن بكرة أبيها في توديعهم من منطقة رأس البرّ، وكان فيهم الوالد ولم يكن قد تجاوز العاشرة بعد، وما زال يتذكّر ذلك اليوم، فلقد كان يوماً مشهوداً في الذاكرة الظبيانية.

ويقول العمّ سعيد إنهم كانوا يرتدون العقل المقصّبة، وكان يوماً بهيّاً وكبيراً، ثم يردف وهو يتحسّر: لم يكن هناك من يصوّرنا في ذاك اليوم.

أبحرت السفينة قاصدة ميناء العجير. ولا بدَّ أن تكون قد استيقظت في نفس أحمد بن خلف تلك الرحلات الموسمية في مركبه إلى دلما، حيث كانت سفنه تمخر عباب الخليج بحثاً عن هيرات اللؤلؤ من جنوب البصرة حتى بحر عُمان، وكان قد اتخذ من مركبه مقراً يقيم فيه ويلتقي الطواويش والنواخذة، ويولم لهم الولائم ولا يقفل راجعاً إلى دبي إلا بعد أن يوشك الموسم على الانقضاء.

كان بعض الطريق إلى العجير يشترك مع الطريق الذي طالما قصده قبل سنوات من ذلك التاريخ إلى دلما.

وكانت تجارة اللؤلؤ في أيام الرحلة فقدت جزءاً من بريقها بعد أن نفضت اليابان سجادة لؤلؤها المستغرس في أسواق العالم، وامتصّت السحر من هيرات اللؤلؤ في الخليج حتى مشارف الهند.

والعجير ميناء تاريخي، أخذ تسميته نسبة إلى قبيلة (عجير) التي سكنت الأحساء قبل الميلاد، ويعدُّ أقدم ميناء تجاري على مياه الخليج العربي ويقع شرق منطقة الأحساء. وبعد أن بلغوا هذا الميناء، قصدوا واحات الأحساء إلى الغرب، وانقسموا إلى فريقين: أولهما الوالد أحمد بن خلف وحريمه في السيارة الصالون؛ والآخر، وكان فريقاً كبيراً ينوف على الأربعين حاجاً، ركبوا نوعاً من الحمير عالية الظهر تُعرف بـ«الحساوية»، وهي معروفة بكبر حجمها وقدرتها الفائقة على التحمّل، وباتوا ليلتهم تلك في منطقة تُعرف باسم «المطيوي» نسبة إلى عين ماء أقيمت من حولها قرية تتوسط الطريق إلى الأحساء، وذبحوا خروفاً وقضوا ليلتهم يترقبون الصباح التالي لينطلقوا صوب الأحساء.

العجير ميناء تاريخي أخذ تسميته نسبة إلى قبيلة (عجير) التي سكنت الأحساء قبل الميلاد وبعد أن بلغ حجاجنا هذا الميناء قصدوا واحات الأحساء

الشوق إلى مكة

غادر الموكب الكبير صباحاً وبلغوا الأحساء في طالع القلب الذي قيل فيه «إذا طلع القلب جاء الشتاء كالكلب وصار أهل البوادي في كرب..»، وفي الأحساء وجدوا الأمير سعود بن عبد الله بن جلوي في انتظارهم، فأكرم وفادتهم غاية الإكرام وأقاموا في الأحساء عشرة أيام ينعمون بعناية أميرها الذي حرص على تلبية كل ما يحتاجون إليه بنفسه.

وفي الأحساء التي لا بدَّ وأنهم طافوا في أرجائها وربوعها خلال الأيام العشرة، وأدركوا عن قرب حياتها الداخلية، وبينما كان العم سعيد يطوف سوقها، إذا به يرى مطر بن محمد المهيري مع صديق له يبيعون الركاب في السوق، فتعلّق به قائلا: «خوي سعيد يا بعدي، تقدرون تودوني معاكم الحج؟»،

فقال له: أبشر. واستأذن الوالد أحمد بن خلف الذي أذن له ورحّب به.

قال العم سعيد: كُتب للمهيري نصيب.

وبعد انقضاء الأيام العشرة، ودّعوا مضيفهم الشهم الأمير سعود بن جلوي واستقلّوا سيارتين «نصف لوري». أما أحمد بن خلف وحريمه فلقد استقلّوا سيارة صالون وصاروا ينهبون الأرض في طريقهم إلى الرياض.

كان الشوق إلى بلوغ مكة يقودهم ويجعل كلّ المشاق في الطرق الوعرة التي تمتد نحو أربعمائة كيلو متراً، وكأنها من أجل تحصيل الثواب، فكلما زادت مشقة السفر في طرق غير معبدة زاد أجرهم.

وبعد جهد جهيد بلغوا الرياض، ونزلوا في بيت أعدّ لهم، وعلى مقربة منه بئر. ثم جاؤوا لهم ببراميل كبيرة من الماء. وكانوا كلّما استيقظوا صباحاً يجدون الماء وقد تجمّد في سطوح البراميل من فرط البرد، لدرجة أنهم جاؤوا بجرن كبير من خشب الغضا الذي تصف العرب ناره بالمضيئة التي لا تنطفئ وهو يكثر في نجد، ومنها انتقلوا إلى مضارب خيام الملك عبد العزيز في الثّمامة على مشارف عاصمته.

كان الملك عبد العزيز يقدّم الوالد أحمد بن عتيبة إلى ضيوفه وكبار رجالاته بقوله: هذا ابن عتيبة.

قالها لابن عمه سعود الكبير الذي كان لشدة البرد يرتدي غترتين بيضاء وحمراء، ثمَّ قال لأحمد بن خلف: هذا سعود الكبير، وكان سعود هذا ابن عمّ الملك وزوج نورة بنت عبد الرحمن بن فيصل.

وما زال العم سعيد يستعيد دهشته ذاتها التي وجد نفسه فيها، وهو يواجه ضخامة الخيام وفخامتها والكهرباء التي جعلتها تتوهّج سواء في رابعة النهار أو في الليل، ولم يكن رآها من قبل.

كان البرد قارساً وشديد الوطأة في تلك الأيام، حتى إن بعضهم بدأ يشكو السقم مثل ابن حبتور الذي كانت بنيته تجعل البرد يقيم فيه.

وبعد أربعة أيام في ضيافة الملك عبد العزيز، تابعوا الرحلة نحو مكة وكانوا على حدّ قول العم سعيد «شورهم بيديهم» فاستقلّوا السيارات صوب الحجاز التي تبعد قرابة تسعمائة كيلو متراً كانوا فيها يصارعون المفازات المضلّلة والدهماء، تدفعهم غاية تقصر عن بلوغها كلّ وسيلة مهما بلغت من المشقة.

وكان للسيارات في هذه الدروب حنين وأنين وكأن سائقها كان يردّد في سره قول الشاعر أحمد الكندي لاحقاً:

صوبهم في خاطري سيره
فوق جيبٍ يقطع الفيّه
يطرب السوّاق في سيره
لي ضرب دارٍ خلاويّه.

دعاهم داعي الشوق حتى بلغوا مكة في طالع الشولة التي قال فيها العرب: «إذا طلعت الشولة أعجلت الشيخ البولة واشتدّت على العائل العولة».

حدّثني العمّ سعيد أنه رأى اليأس يدبّ في نفس العمّة شمسة بنت أحمد (عمّة الوالد ووالدة الشيخ أحمد بن حامد) من تقبيل الحجر الأسود، ولم تكن تكابد الأمر بنفسها، بل كانت في جملة من النساء اللائي عدن يائسات من المشمّ؛ وقد رأين شرطيّاً يشرف على الحجر وبيده عصا يهوي بها على كل من أراد استقبال الحجر من الحجيج.

وكان سعيد في تلك الأيام تأخذه الحماسة مآخذ الجسور من الرجال ممن لبسوا القلوب فوق الصدور، وكان فتى القوم بحسب تعبير المتنبي الذي تتضاءل أمام حضور فتوته الصعاب.

وعندما رأى الخيبة والألم يعتصران قلب شمسة ومن معها من النساء سألها عن الأمر، وما إن أخبرته حتى قال لها تعلّقي بحرمي، فتعلقت وقصدا المشمّ.. ومن خلفهما النسوة الأخريات حتى أشرف على الحجر وقال لها استقبليه، فما إن رفع الشرطي عصاه حتى قبض عليها سعيد بيد من حديد وانتزعها منه، وقال لها شمّي الحجر، ففعلت شمسة.

ثم قال للنساء: إليكن بالحجر، فشممنه حتى شبعن، لدرجة أنَّ سعيد حدَّث نفسه في تلك البرهة أنهن لن يفرغن من شمّ الحجر أبداً.

في الأحساء وجدوا الأمير سعود بن عبد الله بن جلوي في انتظارهم فأكرم وفادتهم غاية الإكرام وأقاموا في الأحساء عشرة أيام

بعد نحو أربعة أيام في ضيافة الملك عبد العزيز تابعوا الرحلة نحو مكة فاستقلّوا السيارات صوب الحجاز يصارعون المفازات المضلّلة والدهماء تدفعهم غاية تقصر عن بلوغها كلّ وسيلة مهما بلغت من المشقة

كان الشرطي قد أسقط في يده وأصبح خلواً من السلطة التي توفرها العصا، فخاطبه سعيد مغضباً: اتّقِ الله في النسوة يا رجل، لقد سببت الذعر لحجيج الله في بيته، وألقى عليه العصا وغادر مع النسوة، وكان بين من حضر الموقف سلطان بن يوسف الذي كان على نقيض العمّ سعيد يؤثر السلم ويتجنّب أسباب الخلاف، حتى إنه تردد كثيراً، قبل أن يحجم في نهاية الأمر عن شمّ الحجر.

ويذكر العم سعيد يوماً أنّه أفاق ليلاً وهمّ بالخروج من الخيمة عندما تعثّر بحمد بن قطامي وكان رجلاً يبهش- له ردّة فعل- قال سعيد: فحاول القبض عليّ فصارعته، وظللت أسأله وأنا قابض عليه إن كان في اليقظة أو ما زال في النوم؟ قال العم سعيد: كنت أخشى ردّة فعله، فاضطررت لمصارعته- قبضته قبضه لا تنشد عنها- وأرسل ضحكة عالية.

كان سعيد في رحلة الحجّ تلك في فورة الشباب ولم يكن قد اختبر الزواج بعد، وفيه من العزم ما يلين حد المركب الخشن. وكأني بالمتنبي وقد أراد سعيد لا سواه في قوله:

قد هوّن الصبرُ عندي كلَّ نازلةٍ
وليّن العزم حدّ المركبِ الخشنِ

وفي المدينة قال العم سعيد: كنّا نأتي إلى باب السلام عند الفجر، فنجد أمماً مجتمعة تحاول الدخول فالباب لا يفتح إلا فجراً، فتساءلنا: لمَ اندفاعهم عند فتح الباب؟ وكيف أنّهم لا يراعون حرمة المسجد؟ فعلمنا من الشيخ عمر أنّهم يتسابقون للصلاة في الروضة المشرّفة، وقال لنا: إنّ من صلّى في الروضة غفرت ذنوبه، فكنّا بعد ذلك كلمّا فتح الباب ننطلق كالسهام نسابق الحجيج فنكون أول المصلّين في الروضة المباركة، قال العم سعيد: «مبخوت اللي يصلّي فيها».

وقال: مكثوا في مكة ثمانية أيام، ومثلها في المدينة حتى أتمّوا المناسك وعادوا أدراجهم إلى الأحساء، ثمَّ إلى ميناء العجير.

لم تكن سفينتهم «فتح الباري» قد وصلت بعد، فاستأجروا مركباً من رجلٍ يُقال له حسين بن عميرة، لأن الوالد أحمد كان مستعجلاً في العودة من أجل قضاء بعض شؤونه ومصالحه.

ولكن سفينة بن عميرة حدث فيها عطل، فبادر العم سعيد وخليفة بن يوسف ومحمد بن أحمد إلى إسعاف بن عميرة وأخذوا يصيحون: «الكوبلين.. الكوبلين..».

وأخذوا يعالجون العطب حتى تمَّ لهم إصلاحه.

وانطلقوا صباحاً، وما هي إلا هنيهات حتى لمحوا سفينتهم «فتح الباري» مقبلة نحوهم، ولكن بعد أن فات الأوان فلحقت بهم إلى البحرين.

وفي تلك السنة، قال العمّ سعيد، وصلنا خبر ولادة خلف بن أحمد.

أقاموا مدة يومين في البحرين، وبالغ الأمير حمد بن سلمان في إكرامهم فصرف للرجال وللنساء الكسى والرواتب.

وكان لذلك الفعل أثره البالغ في نفس الوالد أحمد بن خلف، الذي بادر فور وصوله إلى أبوظبي إلى إرسال ناقة اسمها «سمحة» من كرام الإبل، هدية لحاكم البحرين حمد بن عيسى، فوقعت في نفسه موقعاً عظيماً، وأرسل إلى الوالد أحمد بن خلف سيارة «فورد»، وكانت من أولى السيارات التي تدخل أبوظبي.

طال أمد الرحلة نحو أربعين يوماً، ودخلوا أبوظبي في منتصف يناير من عام 1941، وكان الطالع حين العودة «النعايم»، بعد أن أنعم الله عليهم بحج بيته.

كان العمّ سعيد ثابت الجنان رابط الجأش، وعندما يمدّ بصره وهو يحاول أن يستجمع تلك الأيام، كان يتحدث بعجب عن تلك القوة التي كان يدّخرها، وذلك العزم الذي أدركه القاصي والداني. وبعد أن انتقل العمّ سعيد مع من انتقل إلى قطر، صار يصطحب القادمين للعلاج من أبوظبي ودبي إلى الحج مثل درويش بن كرم وغيره، فإنهم كانوا لا ينجزون الأمر إلا والعمّ سعيد في رفقتهم. وكان يعمل بهمة على تخليص أوراق الجمارك والجوازات وحده، ولم تحج والدته في تلك السنة التي حجّ فيها أحمد بن خلف، ولكنه عوّضها في السنوات اللاحقة وقصد بها الحجّ مرات عدّة.

وفي إحدى تلك الرحلات، توفيت فاطمة زوجة ثاني بن حبيش السويدي- رحمها الله- ودفنت في منطقة الأبطح. ويتذكر العم سعيد أنهم فقدوا في عرفة أثر طباخة لهم غابت عن أبصارهم وتاهت، فقال سعيد سأولم لكم بنفسي، قطّعوا اللحم، فلن يعدّ المكبوس سواي. وقبل المغيب نضج الطعام، فقال للنسوة بصوت واثق: اغرفن.

وختاماً، فالحجُّ لم تكن طقوسه لتكتمل لولا وجود العمّ سعيد الذي كان يجعل كلَّ شيء متاحاً وممكناً وفي متناول اليد، حتى لو كان الحجر الأسود الذي يشرف عليه رجل غليظ القلب يقبض على عصا، أما ما حدث لأول سيارة «فورد» في أبوظبي وما كابدته في طرقها غير المعبدة.. فتلك حكاية أخرى.

***كاتب إماراتي**

المؤرخ صالح خالد المسباح يتتبع مساراتها ومروياتها التاريخية

الحج في الكويت خلال قرنين

ضمن الجلسات التاريخية والثقافية المتخصصة، استضاف مركز جمال بن حويرب للدراسات في مقره بدبي، المؤرخ والباحث الكويتي صالح خالد المسباح، عضو مجلس إدارة الجمعية الكويتية للتراث، في جلسة بعنوان «رحلات الحج القديمة في الكويت»، تحدَّث فيها عن هذه الرحلات والجهد التوثيقي الذي قام به رفقة مجموعة من الباحثين لتوثيق مساراتها، رغم شح المصادر والوثائق المتوافرة عنها، حيث أكد أنَّ رحلات الحج كانت تنطلق في كل وقت، لكن بخصوص ما هو موثق فأول رحلة حج كويتية موثقة كانت سنة 1800 – 1801م وصاحب فكرة تنظيم حملة الحج هذه هو فهد الدويلة الذي ولد عام 1772م، وأوضح المسباح أنَّ الحملات الأولى تميَّزت بالبساطة ومحدودية الموارد، لكنها مع ذلك اتسمت بالتنظيم.

الجلسة بدأت بحديث لرئيس المركز سعادة جمال بن حويرب، الذي رحَّب بالضيف المحاضر من دولة الكويت الشقيقة، والذي وثَّق لتاريخ الكويت بشكل مطبوع، خاصة فيما يتعلق برحلات الحج، وهو مهتم بالتراث وشغوف بدراسته، كما أنَّ مكتبته قبلة للباحثين في الكويت، فكل شيء كتب بخط اليد يحاول الحصول على نسخة منه، ولهذا تعدُّ مكتبته من المكتبات الثرية في الكويت، وأصبحت مرجعاً لتاريخ الكويت والباحثين

والمهتمين، ولقد ذُكرت في العديد من الكتب التي ألفها الباحثون والمؤرخون وذكروا أنهم استفادوا من مكتبة الباحث صالح خالد المسباح.

حضر الجلسة أحمد عتيق الجميري، والباحث بلال البدور، رئيس ندوة الثقافة والعلوم، والمهندس رشاد بوخش، رئيس جمعية التراث العمراني الإماراتية، والعميد متقاعد محمد صالح بداه العوضي، والباحث راشد بن هاشم، والشاعر مؤيد الشيباني وجمع من المثقفين والإعلاميين.

وجاء في تعريف المحاضر، ضمن كلمة رئيس المركز سعادة جمال بن حويرب أنَّ صالح خالد المسباح، هو أمين عام رابطة الأدباء الكويتيين السابق ومدير تحرير مجلة البيان السابق، وعضو مجلس إدارة الجمعية الكويتية للتراث.

بدأ بإنشاء مكتبته منذ كان طالباً في الثانوية سنة 1974م، وكانت انطلاقته الأولى حينما افتتح في الكويت معرض الكتاب الإسلامي عام 1975م، وكذلك عندما تمَّ افتتاح معرض الكتاب العربي، وهو أول معرض عربي، وسمي بذلك لأنهم يدعون الدول العربية إلى المشاركة فيه، فيه تحت رعاية المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، فهذان المعرضان

بوابة مكة المكرمة في صورة تعود إلى سنة 1937

حجاج يحملون أمتعتهم من الباصات

هما المنبعان الرئيسان لمكتبته الخاصة.

من إصداراته «بمناسبة مرور 50 عاماً على جريدة الكويت اليوم ومطبعة الحكومة» وهو عبارة عن كتاب توثيقي، والكتاب الآخر مشترك عن حملات الحج الكويتية على الإبل للمؤلفين عدنان سالم الرومي، وصالح خالد المسباح، والدكتور. خالد يوسف الشطي، وتمَّ فيه توثيق 30 حملة حج كويتية على الإبل.

وأضاف جمال بن حويرب أنَّ المسباح يسعى جاهداً إلى حفظ التراث، ويتمنى أن تجتمع الجهود وتتشابك في أرشفة وتخزين تراث الكويت؛ لأنَّ هناك العديد من المقتنيات والمطبوعات والمخطوطات التي لا يتوافر لها الجو الملائم للمحافظة عليها.

صورة نادرة للكعبة غارقة في مياه الأمطار حيث الحجاج يسبحون

جمال بن حويرب:

جهد بحثي رصين وثّق تاريخ 200 سنة من رحلات الحج ينير طريق الباحثين

الحج والتوثيق

المحاضر صالح خالد المصباح، بدأ المحاضرة بتعبيره عن سعادته بزيارة الإمارات، والمشاركة في هذه الجلسة، التي ينظمها مركز جمال بن حويرب للدراسات، معرباً عن تقديره لجهود المركز وصاحبه في تشجيع الأبحاث والباحثين، وفيما يخصُّ موضوع المحاضرة فقد قال: إنَّ مشروع حملات الحج، كموضوع بحثي، يعدُّ من أهم المشاريع البحثية في الخليج العربي، وقد بدأ التفكير فيه سنة 1975م، حينما ذهب برفقة والدته إلى الديار المقدسة كمحرم، بتكليف من الوالد، وكان يومها طالباً، فأخذت الطريق في السيارات قرابة 3 أيام، فأدرك وقتها المشقة التي كان يكابدها الأوائل، قبل السيارات، كما أنه بحكم عمله لاحقاً في "البعثة الطبية"، وهي بعثة لوزارة الأوقاف الكويتية ترافق الحجاج، اقترب أكثر من تجليات هذا الموضوع، وفي عام 1990م بعد الغزو العراقي للكويت، اقترح

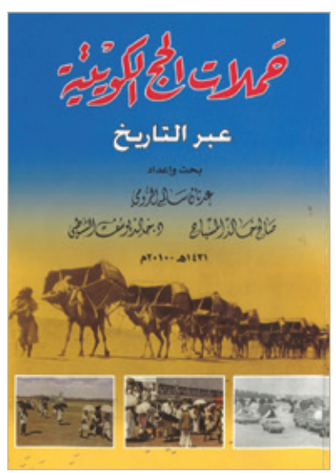

جمال بن حويرب يكرم صالح المسباح بحضور أحمد الجميري وبلال البدور

المسباح على وكيل وزارة الأوقاف توثيق حملات الحج القديمة، من خلال جمع روايات كبار السن، الذين حجَّ بعضهم على الإبل، لكن هذا الأمر تأخَّر قليلاً. وفي سنة 2000م قدَّم زميله في البحث عدنان الرومي المقترح ذاته، كما أنجز الباحث راشد الشطي رسالة دكتوراه عن العمل الخيري في الكويت، أفرد فصلاً منها للحج، فاجتمع ثلاثتهم على البدء بتوثيق هذه الحملات القديمة.

وأضاف المسباح أنَّ خطتهم البحثية بدأت بالاطلاع على الكتب التي تحدَّثت عن رحلات الحج من الكويت، لكنهما وجدوا معلومات ومقتطفات قليلة عن هذه الرحلات، وقال إنهم من خلال الاستقصاء أدركوا أنَّ البحث يتطلَّب تقصي مرحلتين؛ إحداهما مرحلة رحلات الحج على الإبل، والثانية الرحلات التي تمت عبر السيارات في تلك الفترة، فكان حصيلة ذلك كتابين، اشتغلنا على الأول منهما زهاء خمس سنوات، وحمل عنوان "حملات الحج الكويتية على الإبل"، والثاني "حملات الحج الكويتية عبر التاريخ".

مدينة الحجاج بالجهراء

قافلة الحجاج بالسيارات 1982

تأصيل تاريخي

وفي تأصيله للموضوع وفق المعطيات التاريخية مهَّد المسباح بالحديث عن الكويت وتاريخها، حيث تأسَّست الكويت سنة 1613م حينما استوطنها آل الصباح والعتوب، وأخذوا الإمارة من بني خالد، وكانت الكويت، بحكم موقعها الجغرافي المميز، محطة للتموين، وكانت

أول رحلة حج كويتية موثقة كانت سنة 1800م وصاحب فكرة تنظيم حملة الحج هذه هو فهد الدويلة

صالح المسباح وعدنان الرومي خلال جولة ميدانية مع أفراد من أسرة منظم حملات

تعرف بـ"الكوت"، حيث يمر بها المسافرون إلى الأراضي المقدسة، والقادمون من العراق وإيران وبلاد الهند والسند.

وقال إنَّ الحجاج كانوا يسلكون طريق الحج البصري، ومن المحتمل جداً أنَّ هذا الطريق كان هو الأكثر استخداماً لحملات الحج الكويتية، بينما كانت الرحلات البحرية تأخذ مسارات بحرية إلى جدة.. تمر بكراتشي ومومباي أحياناً. أمَّا أقدم رحلة على السفن فكانت سنة 1270م للهجرة (1853م)، ونظمها الشيخ محمد الصالح الإبراهيم، وكان معه الحاج شاهين الغانم.

وتحدَّث المسباح عن الأسباب التي كانت تعيق حملات الحج، وحصرها في كثرة الأوبئة الفتاكة والحروب، ووجود قطَّاع الطرق، قبل استتباب الأمن في الجزيرة العربية على يد الملك عبد العزيز آل سعود، إضافة إلى أسباب مرتبطة بالبيئة كالحرارة وغير ذلك.

وتحدث المسباح عن هذه الحملات ووسائلها التقليدية وقتها، والتي كانت تعتمد على الإبل، حيث يتمُّ الاستعداد

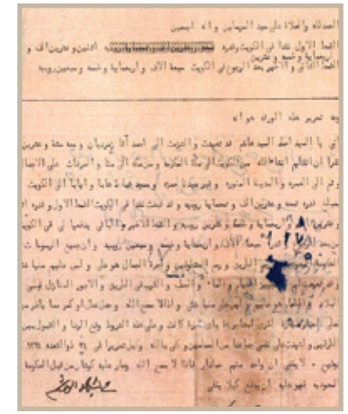

وثيقة من أيام الحج على الإبل

للرحلة قبل أشهر، ويقوم صاحب الحملة بشراء النوق المناسبة، والتي كان يتمُّ اختيارها من الجمال، لكونها مطواعة أكثر، وأكثر تحملاً في السفر، ويستفاد من حليبها خلال السفر، كما توشم الإبل بوشم خاص بصاحب الحملة، موضحاً أنَّ الحجاج يتجمعون عادة في مكان قريب من صاحب الحملة، وقد يكون خارج سور

وثيقة من أحد متعهدي حملات الحج

البعثة الطبية المرافقة للحجاج الكويتيين

بوابة قصر الحفر بداية طريق الحجاج إلى البريدة

الكويت في منطقة الشامية، ويكون الانطلاق من دروازة نايف التي كانت المحطة الأولى للقوافل التجارية الذاهبة إلى نجد والشام، ومن ثمَّ باتجاه الجهراء، التي يتفرع منها طريقان؛ أحدهما باتجاه البصرة والثاني باتجاه الرقعي ثمَّ الحفر، وهو طريق حجاج الإبل، ومن هناك إلى بريدة، التي تعدُّ محطة استراحة، أحياناً تستبدل الإبل، ومن ثمَّ إلى مكة المكرمة.

وشرح المسباح لوازم العدة الخاصة للمسافرين، وما يتعلق بركوب النساء على الهودج، وما كان يرافق الطريق من مخاطر وصعوبات، مبيناً أنه مع ظهور السيارات أصبحت الرحلات أكثر يسراً، وكان ذلك في بداية الأربعينيات، مع وصول العديد من آليات الجيش البريطاني من شاحنات وسيارات من العراق، والتي تمَّ بيعها بعد الحرب العالمية الثانية، حيث بدأت حملات الحج تسير رحلاتها بواسطة السيارات.

توثيق شعري

وقد وثَّق رحلات الحج على الإبل

بلال البدور: اطلعت على مشروع بحثي يعكف عليه عبدالله عبد الرحمن عن رحلات الحج الإماراتية القديمة

وظروفها العديد من الشعراء، منهم قاضي الكويت المشهور عبدالله الدحيان في قصيدة جميلة سنة 1906م، وكذلك الشاعر فهد بورسلي في قصيدة يقول فيها:

انصح التاجر نصيحة والفقير
لا يحدّونه على ركب البعير
لا يحدّونه على ركب الركاب
بالدراهم يشتري ضيم وعذاب
عقب خمسة يسحب وروكه سحاب
من نزل من كورها مثل الكسير
خلفوا بالقلب جرح مايطيب
والمجرّب يالربع غير الطبيب

كما استعرض المسباح أسماء أقدم الحملات التي انطلقت من الكويت قاصدة بيت الله الحرام كحملة «الناشي»، وحملة «بزيع»، وحملة "الدهام"، وذكر أسماء أصحابها، مشيراً إلى أنَّ هذا البحث تمَّ التوسُّع فيه بشكل خليجي، حيث تمَّ إعداد برنامج إذاعي توثيقي لرحلات الحج على المستوى الخليجي.

إعلان لحملة حج كويتية قديماً

إحدى حملات الحج الكويتية القديمة

رسائل بريدية للحجاج

وفي نهاية اللقاء أشار سعادة جمال بن حويرب إلى الجهد المهم الذي قدمه المحاضر ووثَّق تاريخ 200 سنة من رحلات الحج الكويتية، وبحث في جانب غفل عنه الكثير من الباحثين، فمثلاً في الإمارات لم توثَّق حتى الآن رحلاتُ الحج القديمة، مشيراً إلى أنه تحدَّث مع صالح بن لاحج لتوثيق تجربته الكبيرة في هذا المجال، وأشار إلى أنَّ هذه الدراسة البحثية التي قدمها صالح المسباح تفتح الباب أمام الباحثين في الخليج العربي، لتقديم دراسات مشابهة أو مجالات أخرى، مقتدين بالمنهج والطريقة التي اختطها الباحث.

وفتحت المداخلات، وتحدث بعض من الحضور، حيث أشار بلال البدور إلى أنَّ هناك مشروعاً بحثياً إماراتياً لتوثيق رحلات الحج القديمة، يعكف عليه الباحث عبدالله عبد الرحمن، صاحب كتاب «فنجان قهوة»، وقد اطلع على هذا المشروع في معرض الحج بأبوظبي،

جواز سفر حج قديم

إعلان لحملة حج كويتية قديماً

وأكد له الباحث أنه قيد الإعداد.

كما تحدَّث المهندس رشاد بوخش، عن الحج قديماً من الإمارات، حيث كان يتم عبر البحرين، وهو ما أكده الباحث راشد بن هاشم مبرزاً دور العلماء في هذه الرحلات، ومرافقتهم للمسافرين لتعليمهم كيفية أداء مناسكهم.

وفي الختام، شكر سعادة جمال بن حويرب المحاضر صالح المسباح على المحاضرة القيمة، وكذلك الحضور، كما منح سعادته المحاضر درع المركز، فيما منحه الباحث راشد بن هاشم درع نادي الوصل الرياضي، احتفاءً بالأخوة الإماراتية الكويتية، كما تمَّ التقاط مجموعة من الصور الجماعية.

الرحلة الحجازية للولاتي

مسالك القوافل والتواصل الثقافي بين المشرق والمغرب

الدكتور محمد المختار السعد*

شكّلت مسالك القوافل عبر الصحراء جسور تلاقح حضاري عميق الأثر بين الشعوب الإفريقية شمال الصحراء وجنوبها، كما نسجت عُرىً اقتصادية واجتماعية وثقافية وثيقة على مرِّ الزمن، ربطت أيضاً المغرب بالمشرق، وكان لرحلات الحج دورها البارز في ذلك، ومن ضمن هذه الرحلات رحلة محمد يحيى الولاتي في القرن التاسع عشر.

وصاحب الرحلة هو محمد يحي بن محمد المختار بن الطالب عبد الله ولد بمدينة ولاته الصحراوية الواقعة في أقصى الشمال الشرقي الموريتاني عام 1259هـ/1843م وتوفي بها سنة 1330هـ/1912م. وقد ارتبط اسمه بتلك المدينة لشهرتها التاريخية شمال الصحراء وجنوبها كمحطة من محطات القوافل عبر الصحراء، ومنارة علم ومعرفة قبل أن يبدأ مسار انحطاطها في القرن الخامس عشر الميلادي، ويصيبها الوهن ويهجرها العديد من سكانها مع نهاية القرن الثامن عشر.

وقد تحدَّث ابن بطوطة عن هذه المدينة بوصفها مركز إشعاع ثقافي في المنطقة وبوابة أساسية في العلاقات مع بلاد السودان بالنسبة للمسلك المرتكز شمالاً على سجلماسة وجنوباً على ولاته مروراً بتغازة.

ونَوه بحضور الجاليتين؛ المغربية والمصرية في هذه المدينة وغيرها من كبريات المدن الخاضعة لمملكة مالي، وهيمنة مَسُّوفَة- أساس ساكني ولاته وقتها- على التجارة الصحراوية سواء من حيث التحكم في إنتاج الملح وتسويقه أو جِمَارَة القوافل ودلالتها (التَّكْشِيف) وتهيئة ظروف الإقامة لأصحابها في ولاته.

وواضح من رواية ابن بطوطة أن تنوع الحضور البشري بالمدينة كان مرتبطاً بازدهار الحركة التجارية بها وحسن ضيافة أهلها «وشمول الأمن في بلادهم، فلا يخاف المسافر ولا المقيم سارقاً ولا غاصباً».

غير أنَّ ذلك الوضع سيتغيّر بتغير الأوضاع السياسية والبشرية في المنطقة وما انجر عنه من تحول في مسالك القوافل عبر الصحراء وتزحزحها.

لقد ترعرع الولاتي يتيماً في كنف والدته بتلك الواحة الصحراوية العتيقة وبها تلقى تعليمه، واختار مهنة نسخ الكتب لتلاؤمها مع مهمته التحصيلية، وما إن بلغ العشرين من العمر حتى ولج باب التأليف في النحو والبيان قبل أن يهتم، ابتداءً من الخامسة والعشرين من عمره، بالتأليف في ميادين الأصول والحديث والفقه وغيرها من علوم عصره حتى قيل إنَّ مؤلفاته بلغت 110 مؤلفات.

ولم يخرج الولاتي على التقليد المألوف في الرحلات الحجازية لدى علماء المسلمين عموماً وأسلافه الشناقطة على وجه الخصوص من حيث العناية بوصف المسالك والظروف المادية والبشرية لتنقلهم من مكان إلى مكان وما استرعى انتباههم من ممارسات اجتماعية والاهتمام بالمراكز العلمية والدينية والتعرف إلى العلماء ومشايخ التربية الروحية في المناطق المزارة والاستفادة منهم وممارسة التدريس والتأليف والإفتاء وقرض الشعر وعقد المناظرات.. إلخ. وكان الولاتي من بين الحجاج الشناقطة القلائل الذين دوَّنوا أحداث رحلاتهم الحجازية وتركوا لنا آثاراً تاريخية ثمينة.

بداية الرحلة

انطلق الرجل من ولاته في 7 رجب عام 1311هـ/ 14 يناير عام 1894م لأداء فريضة الحج، وعاد إليها بعد رحلة حافلة بالأخذ والعطاء دامت ست سنوات وخمسة أشهر، دَوَّنَ أَحْدَاثَهَا المختلفة (ماعدا شهرين أمضاهما في طريق الإياب بين أروان وولاته) بأسلوب سردي ووفق تسلسل زمني دقيق، منذ خروجه من ولاته في رفقة من أولاد بَلَّه في 14 يناير عام 1894م إلى دخوله مدينة أروان في 6 من شوال عام1317هـ/8 يناير 1900م عائداً إلى مسقط رأسه.

وقد تناول في هذه الرحلة المعروفة باسمه طرق سيره براً وبحراً، ومحطات توقفه والمسافات الفاصلة بينها زمنياً، ومدد إقامته في كل محطة، وأسماء وطبيعة المجموعات والأفراد الذين التقى بهم وما كان له معهم من شأن، ونوعية الضيافة التي حظي بها في حله وترحاله، وما قام به من نشاط علمي وديني أثناء توقفه في المراكز المزارة. وقد طغى هذا العنصر الأخير على الرحلة التي هي في الواقع تأليف موسوعي، ينم عن سعة ثقافة الرجل العربية الإسلامية، نالت فيه العقائد وعلم الكلام والفقه والتصوف الحظ الوافر.

> **انطلق صاحب الرحلة من ولاته في يناير عام 1894 لأداء فريضة الحج وعاد إليها بعد رحلة حافلة بالأخذ والعطاء دامت ست سنوات وخمسة أشهر**

ويكفي للتأكد من ذلك أن نعرف أنَّ رواية أحداث الرحلة نفسها لا تمثل سوى 14 % من النص المطبوع (45 صفحة) الذي حذفت منه عشرة نصوص اعتبرت مؤلفات مستقلة بذاتها، في حين استحوذت الفتاوى والمقطوعات الشعرية التي كتبت أثناء الرحلة على 86 % منها (338 صفحة)، وقد صدرت هذه الرحلة محقَّقة عام 1990 عن دار الغرب الإسلامي ببيروت ومعهد الدراسات الإفريقية بالرباط بتخريج الباحث محمد حجي.

ومع ذلك فإنَّ الرحلة تقدِّم معلومات تاريخية واقتصادية واجتماعية وثقافية ودينية مهمة عن المناطق والحواضر العربية المزارة في المغرب والمشرق؛ فهي تلقي بعض الضوء على واقع اثنتين من أهم محطات القوافل الصحراوية التقليدية في نهاية القرن 19 (تيشيت ـ شنجيطي) وأحياء البدو في الصحراء وانتماءاتهم القبلية، والحركة العلمية والعمرانية في منطقة السوس الأقصى، وأصحاب النفوذ فيها من أمثال أسرة أهل بيروك التكنية في اكليميم، وآل الشيخ أحمد بن موسى السملالي بتازروالت، وانطباعاته عن بلاط السلطان المغربي عبد العزيز (1894-1905) وكبار رجال المخزن آنذاك، وزعماء الطرق الصوفية في كل من المغرب وتونس.

المضمون التاريخي للرحلة

كما استعرض الولاتي النشاط العلمي والثقافي المتميز بالقاهرة والإسكندرية، وازدهار حركة الطباعة والنشر في ذلك البلد آنذاك، وما كان له من صلة بالأوساط العلمية في مصر، وما أتحفوه به من كتب. أمَّا في الحجاز، الذي هو الهدف من الرحلة، فقد استحوذت على اهتمام الرجل مناسك الحج والعمرة وزيارة الروضة الشريفة والبقيع وأُحُد وغيرها من مزارات المدينة.

وقد وظّف الولاتي في هذه المواقف كلها ذاكرته القوية؛ فتتبّع في أقواله وأفعاله ما جاء في القرآن والسُّنة وإجماع السلف الصالح، ما جعل الأستاذ محمد حجي يقول: "إنَّ هذا القسم من الرحلة حري بأن يطبع على حدة دليلاً للحج السني".

لكن مهمة صاحبنا لم تكن ـ على ما يبدو من رحلته ـ مقصورة على تأدية فريضة الحج فقط، وإنما كانت لديه مهام أخرى.

وإذا كانت تلك المهام تبدو لنا في الأساس مهام ثقافية، فإنه يتعيّن علينا استنطاق النص لإبراز مضامينه التاريخية الكاشفة عن بعض مظاهر التواصل الثقافي عبر الصحراء في نهاية القرن الماضي.

إنَّ أول ما يلفت انتباه قارئ رحلة الولاتي هو الغياب شبه التام للمعطيات الاقتصادية والانطباعات الاجتماعية والسياسية عن المناطق المزارة، خلافاً لرحلات الفترة الوسيطة، حتى لرحلات بعض معاصريه من الشناقطة من أمثال ابن اطوير الجنة ومحمد فال بن بابه.

فقد أقام الولاتي فترات طويلة نسبياً بكبريات "الموانئ" الصحراوية جنوباً وشمالاً (تيشيت، شنجيطي، اكليميم، إيليغ، الصويرة) ولم يورد أية ملاحظة عن مصادرها الاقتصادية أو حركتها التجارية الداخلية والخارجية في وقت كانت تسترعى فيه الانتباه.

المسالك والمسافات

سلك الولاتي في ذهابه من مسقط رأسه إلى الصويرة مسلكاً مألوفاً لدى القوافل منذ الفترة الوسيطة، وهو الطريق الأوسط من المحور الغربي المعروف "بالطريق اللمتوني" الذي هيمن على المبادلات عبر الصحراء في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين بفعل عوامل أهمها تفاعلات الثورة المرابطية، ليتراجع لصالح المحور الأوسط الرابط بين النيجر وتلمسان عبر توّات فيما بين القرنين الثالث عشر والسادس عشر الميلاديين، قبل أن يبدأ مسار انتعاشه (المحور الغربي) مع بداية القرن السابع عشر، ويظل صلة الوصل الأساسية عبر الصحراء بالنسبة لبلاد شنقيط حتى بداية القرن العشرين.

فقد انتقل من ولاته إلى آغَرَيْجِيت ومنها إلى تيشيت

لقد شغل الجانب الثقافي الحيّز الأكبر في رحلة الولاتي الحجازية حتى كاد يستحوذ عليها نظراً لنزعة الرجل المعرفية ومنزلته العلمية

فآغريجيت وشنجيطي التي توجّه منها إلى وَادْنُون عبر "الفيافي والمفاوز الخالية من العمران" حتى وصل إلى اكليميم. ومن هذه الأخيرة توجّه إلى"الغرب"، فمرّ بقرية تكانت، فإيفران، فمجاط، فإيليغ، عاصمة تازروالت، التي أصبحت «منذ عام 1850م المكان الرئيس للمبادلات التجارية بين المنتجات الصحراوية ومنتجات السوس وتلك القادمة من أوروبا عبر ميناء الصويرة». وقد ارتحل من إيليغ إلى الصويرة لينهي الجزء الصحراوي من رحلته الذي استغرق سنة وعشرة أشهر بسبب المرض وطول الإقامة في بعض المراكز القروية المزارة، و"لكثرة المقام في البوادي". وهنا تكمن الصعوبة في تحديد المسافات الفاصلة بين تلك المحطات، ما دام النص لا يسعفنا في معظم الأحيان بالتمييز بين فترات السير وفترات المقام. مع ذلك تمكنّا بصعوبة من تحديد المسافات بين معظم المحطات انطلاقاً من النص نفسه.

فقد استغرق السفر بين ولاته وآغريجيت 10 أيام، وبين شنجيطي واكليميم 28 يوماً، ومن اكليميم إلى إيفران يوماً ونصف اليوم، وبين إيفران وإيليغ 4 أيام، ومن إيليغ إلى الصويرة 27 يوماً. وينبغي التنبيه إلى أنَّ المسافة ما بين ولاته واكليميم قد قطعت على الجمال، في حين كان التنقل من اكليميم إلى إيليغ بالبغال، ومن هذه الأخيرة إلى الصويرة على الحمير على ما يبدو.

وابتداءً من الصويرة ينتهي الجزء الصحراوي من رحلة الذهاب، لتبدأ رحلة البحر ذات المسالك والمراكب المختلفة التي لم تثر الفضول العلمي لدى الصحراوي رغم عدم ألفته بها. وامتدت هذه الرحلة عبر مراسي وموانئ الصويرة، وآسفي، والدار البيضاء، والرباط، وطنجة، فالجزائر، وتونس، وبور سعيد، والسويس وجدة. وقد دامت هذه الرحلة حوالي 15 يوماً من السفر، حيث قضى 8 أيام بين الصويرة والرباط منها أربع وعشرون ساعة فقط في السفر، ويوماً بين الرباط وطنجة، وليلتين ويوماً بينها والجزائر، ونفس المدة بين الجزائر وتونس. ولم يحدد الرحالة مدة الرحلة بين تونس وبور سعيد، في حين قضى ليلة بين هذا الأخير والسويس، وأربع ليالٍ بين السويس وجدة حيث ستبدأ "رحلة" برية قصيرة إلى مكة نافت على أربع وعشرين ساعة. ثمَّ عاد أدراجه ليمضى ليلتين في السفر من جدة إلى ينبع، فالمدينة التي استغرق السفر إليها خمس ليالٍ.

وتبدأ رحلة العودة بحراً من ينبع إلى جدة بواسطة قارب شراعي "فلكا ذا أقلاع"، ليأتي دور الباخرة بين جدة والسويس.

ومن السويس سيتوجه بالقطار (بابور البر) إلى الإسكندرية ثم إلى القاهرة حيث اندهش الولاتي هذه المرة لسرعة القطار حين قال: «... فسار بنا ثلاث ساعات ونصف ساعة قطع فيها مسافة سبع مراحل للإبل، وهي المسافة التي بين إسكندرية والقاهرة..» وعاد الولاتي أدراجه إلى الإسكندرية التي سافر منها إلى مالطة، فتونس، ومرسيليا، وطنجة، فالدار البيضاء حيث ستنتهي رحلة العودة البحرية. وقد استغرق السفر بين الإسكندرية ومالطة أربعة أيام، وبينها وتونس يومين لبطء سير القارب، وليلتين بين تونس ومرسيليا، وخمس ليال بينها وبين طنجة، ويوماً وليلة بين طنجة والدار البيضاء.

وكان السفر على البغال من الدار البيضاء إلى الرباط، فمراكش، والصويرة، وتازروالت واكليميم. وبعد مقام عام وشهرين في اكليميم، توجّه الولاتي وأسرته على الإبل عبر الطريق الشرقي من المحور الغربي إلى تيندوف التي استغرق السفر إليها 10 أيام، وأقام بها عاماً وشهراً.

ومن تيندوف توجَّه إلى ولاته عبر أَرْوَان وتنبكتو دون إعطاء معلومات تمكن من تحديد المسافة التي قطعها بين كل منهما.

وبذلك أنهى الولاتي رحلة شاقة ومكلفة لولا سمو مقاصدها وما لمسه في أثنائها من مشاعر أخوية وروح تضامن وتآزر اجتماعيين.

ولم يحدثنا الكاتب بصفة ملموسة عمَّا أَعَدَّ من زاد لهذا السفر الطويل، واكتفى بالقول، في أثناء وجوده الثاني في آغريجيت، إنه انشغل عن إتمام قصيدته في مكفرات الذنوب "لأجل مهمات السفر". ويقول محقق ديوانه: إنه قرر تأدية فريضة الحج في وقت قصير بعد عودته من وفادة إلى أحمد بن الحاج عمر الفوتي الذي أهداه "سلسلة ذهبية تزن 100 مثقال وكماً من الملابس النفيسة والبضائع". كما اصطحب الولاتي معه أَمَتَيْنِ في رحلة الذهاب الصحراوية لا نستبعد أن يكون قد استعان بثمنهما في السوس على أعباء ما تبقى من الطريق وكلفها المادية المتعددة. وإذا كنا لا نجزم بذلك، فإنَّ تصريحه بتركهما عند الحاج الحسين في إيفران وعدم مرور الولاتي به في طريق العودة، حيث توجّه من الصويرة إلى إيليغ فاكليميم

صدرت هذه الرحلة محقّقة عام 1990 عن دار الغرب الإسلامي ببيروت ومعهد الدراسات الإفريقية بالرباط بتخريج الباحث محمد حجي

تقدّم معلومات تاريخية واقتصادية واجتماعية وثقافية ودينية مهمة عن المناطق والحواضر العربية المزارة في المغرب والمشرق

مباشرة، يحمل على الاعتقاد بذلك.

كما تناول الولاتي تكاليف النقل البري والبحري وقتها بين بعض المحطات، وأنواع العملات الموجودة في السوس وتيندوف وأزواد في نهاية ذلك القرن. فقد كانت كلفة نقله وابنه محمد الحسن بين طنجة وجدة 25 ريالاً حسنية، في حين كلفهما النقل بين مراكش والصويرة عشرة ريالات، ونقل عشرة أحمال بين تازروالت واكليميم 20 ريالاً.

ومما يسترعي الانتباه أنَّ الولاتي لم يشعر بأية غربة اجتماعية أو ثقافية في أثناء رحلته الطويلة في مختلف المناطق العربية المزارة ولا سيما في المناطق الحافة للصحراء التي قام في العديد منها مدداً طويلة نسبياً وشارك أهلها منازلهم وأرزاقهم ووسائل اتصالهم وهمومهم المعرفية ومشاغلهم الفكرية.

المعطيات الثقافية في الرحلة

لقد شغل الجانب الثقافي الحيّز الأكبر في رحلة الولاتي الحجازية حتى كاد يستحوذ عليها، نظراً لنزعة الرجل المعرفية ومنزلته العلمية وسعة يده في الكتب وكثرة الاستشكالات التي وجهت إليه.

وإذا كان المقام لا يتسع للتفصيل في نشاطه الثقافي أثناء الرحلة، فإننا سنحاول إبراز أهم معالمه مركزين على ما قام به في منطقة المغرب أكثر من غيرها لتنوع نشاطه فيها وثرائه وطول فترات المقام.

وشغلت الفتاوى حيزاً كبيراً من رحلة الولاتي نظراً لكثرة الأسئلة التي وجِّهت إليه أثناءها، والتي أجاب عنها باستفاضة تنم عن سعة معارفه وطول نفسه في الكتابة، حيث كان العديد من تلك الإجابات قابلاً لأن يكون كتاباً مستقلاً. فقد أصدر الولاتي خلال الرحلة إحدى وثلاثين فتوى في مجالات متعددة كالفقه، والتصوف، وعلم الكلام، والأصول، واللغة والتفسير. وقد تصدر الفقه تلك القائمة باستحواذه على 13 فتوى، يليه التصوف (8 فتاوى)، فعلم الكلام (4 فتاوى)، وأصول الفقه واللغة والتفسير (فتويان في كل منها). أما من حيث التوزيع الجغرافي فإنَّ منطقة المغرب قد نالت الحظ الأوفر منها (24 فتوى) في حين أصدر فتويين في مصر وأربعاً في الحجاز.

فقد أفتى علماء تونس ببطلان إثبات رؤية الهلال بالتيلغراف، وبشأن حكم القيام عند تلاوة الورد، في حين تناولت فتاواه لأهل تيندوف حكم التفاضل بين سكك الفضة في المبادلات وقضاء الدين، وزواج العبد بأربع نسوة، وصدقة من أحاط الدين بماله، وتعريف علم الكلام وعلوم الفلسفة.

وتناولت فتاواه الـ 17 في المغرب الأقصى قضايا مثل صلاة الجمعة في مسجدي اكليميم القديم والجديد التي سبق أن شغلت باله في مدينة ولاته، والتفسير، واللغة، وعلم الكلام والتصوف.

ولم يقتصر عطاء الولاتي على إصدار الفتاوى، بل مارس التدريس أثناء الرحلة في أكثر من مكان، حيث حرص على أن يفيد من معارفه الواسعة، فمارس التدريس في خمس من محطات توقفه هي "آغريجيت" و"مجاط" و"الرباط" و"المدينة المنورة" و"مراكش".

وقد وظّف الولاتي إلى حد كبير رحلته في الاتصال بمراكز الإشعاع الثقافي بالمناطق المزارة، والتعرف إلى صفوة علمائها ومحاورتهم وتبادل الأشعار والمؤلفات معهم وتلقي الهدايا الجزيلة كتباً ومالاً.

فقد زار المراكز العلمية والتقى 28 من العلماء حدَّدهم بأسمائهم في كل من القاهرة والإسكندرية، واستفاد منهم وأفادهم، وزودوه بثلاثين من أمهات الكتب في شتى المعارف العربية الإسلامية، فضلاً عمَّا اقتناه عن طريق الشراء.

كما لقي عناية خاصة من لدن علماء وقضاة وفقهاء تونس الذين التقى بما يربو على الثلاثين منهم وأتحفوه بوافر الكتب النفيسة وأمدوه بالمال.

وصرح بلقاء 9 من فقهاء وقضاة المغرب الأقصى في ذهابه وإيابه وما كان له معهم من مذاكرات علمية وتبادل للشعر والكتب.

ولا شك في أن الحظوة الكبيرة التي نالها لدى السلطان عبد العزيز ووزيره الفقيه أحمد بن موسى وقواده المختلفين وما ناله من جمِّ عطائهم جميعاً، قد مكَّنته من اقتناء مزيد من الكتب حتى اصطحب معه إلى الصحراء ثلاثة أحمال من الكتب، وسبعة من البضائع المختلفة التى اقتناها من الصويرة.

ومارس الولاتي التأليف نظماً ونثراً خلال رحلته، وقد شكّلت هذه التآليف، نثرية كانت أو نظمية، رافداً من روافد التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب.

***مؤرخ وباحث موريتاني**

محمل الحج الشامي
حكايات عابرة في الطريق إلى مكة

إعداد - حسين درويش

تذكر المراجع التاريخية أنَّ أول قافلة للحج في الإسلام كانت في السنة التاسعة للهجرة سنة 631م، وقد ضمّت نحو 300 حاج وهي تحت إمرة أبي بكر الصديق، تعاقبت السنوات واستقر تقليد خروج قوافل الحج سنوياً من المدينة المنورة إلى مكة فعرفات فمزدلفة فمنى، ثم تعود أدراجها إلى المدينة بعد تمام الحج.

ولم تمضِ سنوات على وفاة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حتى أخذ الإسلام ينتشر خارج حدود شبه جزيرة العرب؛ فامتدّ إلى بلاد الرافدين وبلاد الشام ومصر وشمالي إفريقيا وغير ذلك من الأقاليم التي وصلتها الفتوحات العربية وأصبح لزاماً على شعوب تلك الديار، التي دخل معظمها في الإسلام، تأدية ما عليهم من واجب.

فنشأت مراكز جديدة إلى جانب المدينة المنورة، ومن هذه المراكز دمشق والكوفة وبغداد والفسطاط ثمَّ القاهرة وتونس وفاس ثمَّ تعز وصنعاء، لتجمّع الحجيج وانطلاق قوافلهم التي تشكّلت سنوياً في تلك المراكز في طريقها لأداء فريضة الحج.

المحمل الشامي

وقد لعبت قافلة الحج الشامية دوراً مهماً في تاريخ دمشق خاصة وبلاد الشام عامة، وكانت لها أهمية كبيرة لدى الدولة العثمانية؛ فالسلطان العثماني اتخذ لنفسه لقب حامي الحرمين الشريفين، الأمر الذي اقتضى تأمين سلامة الحجيج إلى هذين الحرمين بمكة والمدينة المنورة، وزاد في أهمية هذه القافلة آنذاك كونها واحدة من قافلتين رئيستين سمحت بهما وتبنتهما ونظمتهما الدولة العثمانية في العالم الإسلامي. أما القافلة الثانية فهي قافلة الحج المصري.

وقد شملت القافلة الشامية أعداداً كبيرة من الحجاج الذين كانوا يفدون إلى دمشق في موسم الحج من المناطق الشمالية والشرقية من داخل الدولة العثمانية وخارجها، وعرف أولئك الحجاج بحسب المناطق التي كانوا يفدون منها، وكان منهم جماعات الروم والحلبيين والعجم فضلاً عن حجاج دمشق، وقد التحق بكل طائفة من هؤلاء جماعات أخرى من خارج الحدود، وكان الرومُ أكثرَ هذه الجماعات عدداً؛ لأنَّ كلمة (روم) أطلقت على حجيج مناطق ما وراء طوروس والفرات، ولم يمر وفد الحج الرومي في الغالب بمدينة حلب، فهو لم يندمج مع الحجِّ الحلبي. أمَّا الحج (وفود الحجيج) العجمي فكان يأتي إلى دمشق؛ إمَّا عبر حلب، وإمَّا مباشرة عبر بغداد والطريق الصحراوي برفقة قافلة التجارة، للإفادة من الحماية المتوافرة للحجيج.

وكان من الحجاج من يصل إلى دمشق قبل انطلاق القافلة بأربعة أشهر أو خمسة أشهر، ولكن الأغلبية منهم كانت تصل في شهر رمضان، ومنهم من كان ينزل في خان الحرمين القريب من باب البريد

لقد أعطى المحمل أهمية تؤكد قوة وسطوة من يحرصون على إرساله إلى مكة بل وصار يفيض عليهم شرفاً عظيماً

بدمشق أو بالقرب من جامع الورد في حي سوق ساروجة. أمَّا الحجاج الأعاجم فكان من عادتهم النزول في حي الخراب والسويقة قريباً من مقابر آل البيت، وكان من الحجاج الوافدين إلى دمشق من ينزل منهم في زوايا تحمل اسمهم مثل زاوية «المغاربة» وزاوية «الهنود» بمحلة السويقة وزاوية «السنود» وزاوية «الموصليين» بمحلة ميدان الحصى بحي الميدان.

ومن هؤلاء الوافدين إلى دمشق للانضمام إلى قافلة الحج الذاهبة إلى مكة المكرمة: النقشبندية، وقد وفدوا من ناحية (بلخ) وكانوا يفدون جماعات، ربما زاد عددها على أربعمائة في بعض المرات، وكان بعضهم يتخلف عن العودة إلى بلاده بعد أداء فريضة الحج للاستقرار في دمشق. أمَّا عدد حجاج القافلة فكان يتفاوت من سنة إلى سنة أخرى، وكان متوسط عدد حجَّاج القافلة يتراوح في ذلك الحين بين 20 إلى 40 ألف حاج، وهذا العدد يرتفع أو يهبط وفقاً للظروف الأمنية.

كما أنَّ عدد حجاج القافلة قد يرتفع في الأوقات التي تعقبها كارثة أو حرب، ما يقتضي التوجُّه إلى الحج لشكر الله على انتهائها، وكان والي دمشق يقوم بمهمة «أمير الحج» مُكَلَّفاً من السلطان العثماني، وذلك للسهر على أمن القافلة وقيادتها بنفسه مع قوة عسكرية ومتعاونون لحمايتها من تعديات البدو، وهذه كانت من أخطر المسؤوليات التي تسند إلى والي دمشق؛ لأن استقراره في منصب ولاية دمشق يقاس بمقدار نجاحه في هذه المهمة. وقد قدرت الدولة خطورة هذه المسؤولية فكانت تتخيّر لباشاوية (ولاية) دمشق كبار رجالاتها، حتى إنها مدّت في ولاية أسعد باشا العظم 14 عاماً لنجاحه بالقيام في مهمة إمارة الحج على خير وجه خلافاً لما جرت عليه سياستها في

محمل الحج يمثّل رمزاً للسلطة التي يعود إليها ركب الحج وترجع بعض المصادر تاريخ المحمل إلى حوالي سنة (654) هجرية

امتدت ولاية أسعد باشا العظم إلى 14 عاماً لنجاحه في حماية قوافل الحج من اللصوص

الإكثار من تغيير الولاة، ذلك أنَّ قافلة الحج خلال فترة إمارة أسعد باشا لم تتعرض لأي عدوان.

وفي كتابه «محمل الحج الشامي»، للباحث منير كيَّال الصادر عن وزارة الثقافة في دمشق عام 2006، يذهب الباحث إلى تعريف «المحمل» فهو لغة: شقتان على البعير يحمل فيهما العديلان، ومنها الهودج التي هي مراكب للنساء على الجمال، وهو يختلف عن المحفة من حيث إنَّ المحفة لا سقف لها، في حين أن الهودج له سقف «مقبب». وبالنسبة لقافلة الحج، فإنَّ اصطلاح المحمل يعني هيكلاً خشبياً يعلوه هرم أو قبة، مزين بالحلي والنفائس يحمله جمل قوي مزين هو الآخر بمختلف أنواع الحرير ومغطى بالقماش الفاخر. وكان بداخل المحمل مصحف مغطى بالحرير.

ويضيف منير كيال موضحاً: «المحمل» لم يكن يشكّل جزءاً من طقوس الحج ولا من متطلبات قافلة أو ركب الحج، وكذلك لا يستفاد منه للركوب، بل ولا ينقل فيه شيء من المتاع أو الأغراض المتعلقة بالقافلة أو بأمير الحج، بل كل ما «يحمل» فيه هو نسختان من القرآن الكريم. فهو والحال هذه لا يعدو عن كونه رمزاً يمثل السلطة التي يعود إليها ركب الحج المصاحب للمحمل. وترجع بعض المصادر تاريخ المحمل إلى حوالي سنة (654) هجرية. فقد رحلت في هذه السنة شجرة الدر، زوجة السلطان الأيوبي الصالح أيوب إلى مكة لأداء فريضة الحج، فركبت هودجاً واحتفل بسفرها احتفالاً شائقاً وأصبح ذلك طقساً سنوياً، وحذت الأقاليم العربية حذو مصر في ذلك؛ فكانت تبعث محملاً مشابهاً إلى مكة المكرمة في موسم الحج، حتى توقف ذلك واكتفي بإرسال الكسوة إلى الكعبة. وقد اهتم الفاطميون بالمحمل وبلغت نفقاته أكثر من مئتي ألف دينار.

نفوذ وسطوة

لقد أعطى المحمل أهمية تؤكد قوة وسطوة من يحرصون على إرساله إلى مكة، بل وصار يفيض عليهم شرفاً عظيماً يمدهم بالحكم فترات أطول. وانطلاقاً من ذلك الاهتمام والحرص، فقد افتقد خروج المحمل أيام المماليك على القاهرة ودمشق عاصمتي ملكهم كأصحاب سيادة على مكة والمدينة.

ولما كان حكّام العراق لا يلوذون بالمماليك، فقد رغبوا بدورهم في إضفاء صيغة الحماية على الحرمين الشريفين؛ فأرسلوا محملاً سنة 721 هجرية واستمروا على ذلك حتى استطاعت دولة المماليك منافستهم سنة 877 هجرية، كما عمد أئمة اليمن بدورهم إلى إرسال محمل مماثل، لكن أشراف مكة الذين كانوا يدينون آنذاك بالولاء للمماليك بالقاهرة منعوا المحمل اليمني من الدخول إلى مكة اعتباراً من سنة 782 هجرية.

ويكتب المؤرخ بديري الحلاق في كتابه الشعبي الشهير «حوادث دمشق اليومية» جانباً من النكبة التي حلّت بحجيج الشام عام 1169 هـ 1724م قائلاً «أمّا الأعراب فاعترضوا الحجاج ونهبوهم وشلحوا كبيرهم لباسه وخاتمه من إصبعه، وأنزلوه من تخته، وأخذوا أطواخه (أوسمته) ومدافعه، ثم ثنوا بقافلة الحج فأمعنوا فيها قتلاً وسلباً حتى إنهم ارتكبوا أفعالاً لا يفعلها إلا عباد النيران».

كان موسم الحج في دمشق «المدعوة باب الكعبة» كما يقول الباحث عزيز العظمة في كتابه «مرآة الشام، تاريخ دمشق وأهلها»: «يُعد في طليعة موارد العيش، حيث يدر الأرباح الطائلة على جميع أهلها طيلة العام.. وكانت الطريق الممتدة من دمشق إلى المدينة المنورة من أقصر الطرق وأكثرها سلوكاً، وظل الحكَّام طيلة العصور الإسلامية وحتى العهد العثماني يعنون بهذه الطريق وأمنها وتعميرها، حيث أقاموا فيه الحصون والقلاع بدءاً من المزيريب وبصرى إلى القطرانة ومعان ذات الحج».

شملت القافلة الشامية أعداداً كبيرة من الحجاج كانوا يفدون إلى دمشق في موسم الحج من مناطق شتى

وبدءاً من سنة 1708م أصبح والي دمشق يتولى إمارة الحج، وكان موظفون عثمانيون يُرسَلون من اسطنبول للإشراف على شؤون الحجاج، وكان يرافق القافلة قاضٍ ومؤذنٌ وإمام، وأهم واجبات أمير الحج ضمان أمن القافلة من هجمات البدو الذين كانوا يطبقون على القوافل وينهبون ما يحمله الحجاج من أموال ومواد غذائية، وقد يكون مع البعض سلع حُملت للإتجار بها.

لذلك نشأت مع الزمن عادة دفع «الصرة»، وهي أموال عينية تُجبى من الولايات بأساليب مختلفة، وتدفع لزعماء البدو لصرف أذاهم عن قافلة المحمل.

ويذكر المؤرخ الدكتور عبد الكريم رافق في بحث له بعنوان: «قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني» أعد للمؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية والإسلامية في دمشق إبريل/نيسان عام 1981 أنَّ أجرة نقل المسافر من دمشق إلى مكة في شوال 1158 هجرية تشرين الثاني/نوفمبر 1545م كانت سبعين قرشاً تفصيلها (أجرة جمل 40 - سقاية ماء 5 - ثمن شقدوفة 5 -أجرة عكام 5 -أجرة حمولة وزنها 15 أوقية 15- قرشاً) ولم تتضمن الأجرة الطعام لأنه لم ينص عليه.

رحلات الحج الإماراتية قديماً
شهادات تستذكر قوافل الأبرار

محمد سالم عبد المجيد

بعد انقضاء أكثر من ستين يوماً على الانتهاء منها، يحبس الإماراتيون أنفاسهم ويولّون وجوههم شطر الغرب، يستشرفون الأفق البعيد علّهم يرونها تسير ببطء، بعدما أضناها السفر أشهراً عديدة.. قد يفلحون في رؤيتها من بعيد، وأحياناً يسبقهم البشير منادياً أنْ ها قد وصلت القافلة. «مدارات ونقوش» تستعيد مع القرّاء نفحات من عبق الماضي، وتقربّهم أكثر إلى الطريقة التي كان الأجداد يؤدون بها هذه الرحلة من خلال شهادات عن قوافل الحج.

فقوافل الحج الإماراتية قديماً، في طريقها لأداء المناسك تمرّ برحلة شاقة تستمر أشهراً، ويتعرض الحجيج خلالها لمخاطر الجوع والعطش وقطّاع الطرق، ومختلف الأوبئة، لكن حلم الوصول إلى بيت الله الحرام، وأداء هذه العبادة العظيمة، وزيارة الحبيب المصطفى، ينسيهم كلّ ذلك.

فمحدودية الوسائل وحياة الشظف التي عاشها الأجداد في الماضي، لم تكن لتمنعهم من تأدية هذا الركن الأعظم في الإسلام، إنما العائق الوحيد الذي كان يقف أمامهم دائماً، هو عدم توافر نفقات الرحلة التي لا تكلّف في ذلك الوقت سوى 30 أو 35 روبية، قبل 60 عاماً من الآن، إضافة إلى 25 روبية، هي تذكرة الرحلة البحرية من دبي إلى البحرين ثمّ السعودية.

وخلال هذا الموسم من كلّ عام، يستعيد الأهالي في الإمارات ذكريات الأجداد في الحج منذ أكثر من قرن مضى، ويستحضرون بعضاً من حكايات من خاضوا هذا الطريق يوماً، وعادوا ليحدثوا بقصص قوافل الحج التي تبدو أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع.

طقوس الحج هنا تبدأ قبل أشهر من انطلاق القافلة المتجهة إلى بلاد الحرمين؛ فالرحلة تمتدُّ أشهراً وتفرض البحث عن رفقة صالحة، واختيار «دلّالين خبراء بخطوط سير الرحلات، وبمواقع توافر المياه والكلأ لرواحلهم من الإبل، وكذلك المحطات الآمنة للراحة والاستقرار»، وفق ما يقوله الباحث التراثي عبدالله عبدالرحمن.

في المتوسط تتكوّن القافلة من عشرين جملاً وناقة، تقسّم إلى فئات، تبعاً لوظيفة كل منها، فهذه للركوب، وتلك لحمل الزاد والمؤونة، وثالثة لحمل الحطب، لتأمين عمليات الطبخ في الطريق، وأخرى احتياطية لتعويض ما قد يلحق إبل القافلة من تعب أو

راشد بن هاشم

نفوق نتيجة المشقة وطول الرحلة. هذه الاحتياطات ضرورية جداً، لكنها أحياناً قد لا تفيد الحجاج، فكثيراً ما تعرضوا للمرض والموت وهم في خضم رحلتهم الممتدة ذهاباً وإياباً، وكثيراً ما نفقت إبلهم أيضاً في عرض الصحراء، واضطروا لاستبدالها بأخرى يشترونها من الأحساء أو جدة.

ولكي تأمن القافلة متطلباتها اليومية من الغذاء، فإنَّ عليها اصطحاب مؤونة شبه متعارف عليها، هي الماء والأرز والمالح (السمك المملح)، والعوال (السمك المجفف) والسكر والسمن والعسل، ونوع خاص من التمر لإطعام الإبل طوال مسيرتها، إضافة إلى أسلحة خفيفة للصيد والاستعداد لمفاجآت الطريق، فضلاً عن الحرص على وجود بوصلة لتحديد الاتجاه.

طريق البداية

ورحلات الحج قديماً من الإمارات تتجه ناحية الغرب إلى مسار معروف للأهالي آنذاك، يُسلمهم إلى بداية الأراضي السعودية بعد عشرة أيام من المسير، قد تنقص بالنسبة لسكان أبوظبي والمناطق المحيطة بها، يعبرون خلالها إلى منطقة الأحساء شرقي السعودية، ومنها إلى الرياض فالمدينة المنورة ومكة المكرمة، مروراً بـ«أبيار علي» للاغتسال والتزوّد بالماء.

عبدالله عبد الرحمن: اختيار دلّالين خبراء بخطوط سير الرحلات ومواقع توافر المياه والكلأ للإبل والمحطات الآمنة أمر أساسي لرحلة جيدة

هنا يبدأ الحجاج فعلياً أداء مناسك الحج، يُحرِمون ويمتنعون على الصيد، ويواصلون المسير بدأب على أمل الوصول إلى مكة المكرمة بداية عشر ذي الحجة.

وكنوع من الحرص على راحة إبلهم، التي يقطعون بها كلّ هذه المسافات الشاسعة، يقوم الحجاج أحياناً بترك إبلهم في بعض محطات الرحلة داخل الأراضي السعودية، ويستأجرون جِمالاً «برفقة جمّالين سعوديين كانوا يتفرغون في مواسم الحج لنقل وخدمة حجاج بيت الله، ويتكفلون أيضاً بتوفير المساكن والضروريات الأُخرى اللازمة»، وفق ما يؤكده الباحث عبدالله عبدالرحمن في هذا الشأن.

مناسك ومنافع

وخلال موسم الحج تنتعش الحركة التجارية والاقتصادية عموماً، لكن تسيير حملات الحج على ظهور الإبل بالنسبة إلى الإماراتيين في تلك الفترة بقي النشاط التجاري الأقوى؛ لذا نجد رجالاً تخصّصوا فيه منذ قرون واتخذوه وسيلتهم الأولى لكسب الرزق، واستمروا كذلك حتى منتصف ثلاثينيات القرن الماضي، حسب ما يرويه.

وعادة ما يختار مسيّرو ومقاولو رحلات الحج قديماً نوعاً خاصاً من النوق يسمى «الزمول»، له قدرة عالية على الصبر والتحمّل، يتخذونه وسيلتهم الأولى والأخيرة لحمل الأشخاص والأمتعة والمؤن ومختلف الحاجيات، ويفضلونه على غيره من النوق لقوته وصبره.

كما يستعين بعض الحجاج في سفرهم ببيع إبلهم في السعودية؛ نظراً للثمن المرتفع الذي يلاقونه هناك، ويعودون عن طريق جدة فالدمام بالمنطقة الشرقية في السعودية، ثمّ يُبحرون مجدداً إلى دبي،

عبدالله عبد الرحمن

ويعود بعضهم الآخر إلى الإمارات عن طريق الإبل مرة أخرى.

مرويات الحج

وبأسلوبه الشائق الذي يُرغمك على الاستماع إلى حكاياته، يسترجع الباحث التراثي راشد بن محمد بن هاشم حكايات الجيل القديم الذي سلك طريق الحج على ظهور الإبل، ويتخذ من رحلات الحاج سالم بن خليفة المحرّمي نموذجاً للرواية.

يسرح ملياً كأنما يستدعي من ذاكرته صوراً بعيدة، ثمَّ يروي بشغف لا يخفى حكاية المحرّمي، الذي انطلق من رأس الخيمة شرقاً، أواسط ثلاثينيات القرن الماضي، عابراً الصحراء إلى أبوظبي، سالكاً طريقاً خاصاً به، تختصر الطريق التقليدي المعروف، غير مكترث لطول الرحلة وخطورتها.. «يسير بمفرده دوماً، لكنه لا يبتعد عن البحر، ويعتمد على خبرته الطويلة ومعرفته الدقيقة بخفايا الطريق، فهو واحد من ذارعي الصحراء».

من ذاكرته التي تضجّ بأحاديث وصور الماضي البعيد، يستعيد ابن هاشم، كيفية انطلاقة رحلات الحج قديماً من الإمارات، ويقول إنها تتجه صوب الغرب إلى مسار معروف للأهالي، يدخلون من خلاله الأراضي السعودية بعد قرابة عشرة أيام من المسير، وفق خط سير مرسوم سلفاً يمر بمناطق وآبار محددة، ظلت طريقاً متعارفاً عليه لقوافل الحج قروناً عديدة حتى أواخر الخمسينيات تقريباً عندما بدأت رحلات الحج في السيارة.

ويسترسل ابن هاشم في حديثه معلقاً: «حينها لا وجود لجوازات السفر، لكن الحاج يأخذ معه بَرْوة (رسالة) من حاكم منطقته، موجّهة لأمير أو حاكم المنطقة التي يتجه إليها، وتكون موقّعة من طرف الحاكم».

وعلى الرغم من المشقة البالغة التي يتلقاها الحجاج طوال مسيرتهم، إلا أنّ التلاحم والتعاطف في ما بينهم، والحفاوة التي يتلقونها عند مرورهم بقبائل البدو ضمن خط سير رحلتهم إلى البلاد المقدسة، ساعدهم كثيراً على أداء الحج، وخفّف عنهم معاناة الطريق وجعلهم لا يشعرون بالغربة طوال هذه الفترة.

شاحنات وسفن

أما والده الحاج محمد بن هاشم، فهو أحد الذين ساروا في حملة الحج الخيرية التي نظمها الأخوان علي وعبدالله بالجافلة، من خور دبي عام 1959، عبر سفينة شراعية ضمت زمرة من الحجاج متنوعي المشارب، وانطلقت تمخر عباب الخليج متجهة نحو البحرين، مروراً بأبوظبي وقطر.

الرحلة استمرت أشهراً ثلاثة للذهاب والعودة، وتمّت على مراحل يستريح الحجاج خلالها في الطريق، يتزوّدون بالمؤن وتأخذ السفينة أشخاصاً آخرين.. «قد يكون أغلب من فيها حجاجاً، لكن ذلك لا يمنعها من نقل التجار والبضائع والناس العاديين

في المتوسط تتكوّن القافلة من عشرين جملاً وناقة تقسّم إلى فئات، تبعاً لوظيفة كل منها، فهذه للركوب، وتلك لحمل الزاد والمؤونة

أيضاً»، ووثق ابن هاشم أحاديث هذه الرحلة من والده شفهياً، ولا يزال يروي تفاصيلها بدقة، ويستعيدها قائلاً: «هذه الحملة الخيرية لا تختص بأهل دبي؛ بل تشمل الراغبين بالحج من مختلف إمارات الدولة، تأخذ الحجاج على نفقتها الخاصة متكفّلة بجميع أمورهم، وتوفّر لهم كل المتطلبات، إضافة إلى مبلغ مالي عبارة عن مصروف للجيب».

وهناك نوع آخر يسميه ابن هاشم «الرحلة المختلطة»؛ أي تلك التي تجمع ما بين السفر بالشاحنة والسفينة، تجسده تجربة الحاج عبدالله بن نصيب، التي جرت قبل أكثر من ستين عاماً تقريباً، حيث يقول: «تحركنا من المنطقة الشرقية نحن سبعة حجاج، وذلك بعد انتهاء عيد الفطر المبارك، حيث ركبنا إحدى الشاحنات الكبيرة التي كانت حديثة الوصول إلى المنطقة آنذاك، وتتنقّل بين الطرق الصحراوية الوعرة والبراري والوديان، حاملة ـ بالأجرة ـ البضائع والركاب».

كان على ابن نصيب ورفاقه الحجاج أن يأخذوا أقلّ من يوم بين المنطقة الشرقية من الإمارات ودبي، ليستقلوا من أحد موانئها سفينة تمخر عباب «الخليج» أياماً عدة لتصل إلى البحرين، ويمكثوا هناك أياماً إضافية في مساكن مؤجرة، يدفعون مقابل اليوم الواحد خمس روبيات، ثمَّ يستأنفون الرحلة إلى مدينة الخبر شرقي السعودية، ويلتقون بمقاول بحريني يسمى العمّاري، يمكثون معه أكثر من أسبوع يوفّر لهم خلاله كل المستلزمات مقابل 250 روبية.

إلى هنا تبدو الحكاية طبيعية، لكن رحلة الذهاب بين مدينة الخبر والمدينة المنورة التي استغرقت أسبوعاً كاملاً ـ حسب رواية ابن نصيب ـ كانت شيئاً آخر، فاستمرارك أسبوعاً كاملاً على جناح السفر داخل شاحنة مملوءة بالناس والبضائع والحطب في شدة حرارة الصيف، معاناة لا توصف. مشقة الرحلة بالشاحنة لا تقتصر على هذا فحسب؛ فحرارة الطقس تمنعها المسير نهاراً، وترغم صاحبها على السير ليلاً فقط، لكن ذلك أيضاً قد يعرضه لمخاطر أخرى، فقد يضل الطريق ويبقى يدور في حلقة مفرغة، حتى يسفر الصباح ليكتشف أنه في النقطة التي انطلق منها أصلاً، بيد أنَّ هذه المصاعب كلها لم تكن لتقف في وجه الحاج ابن نصيب، ولم تمنعه من المواظبة على سلوك هذا الطريق بعد ذلك، فقد حجّ أكثر من 32 مرة، وأصبح بحكم تجربته الطويلة مقاولاً لخدمة الحج بالمنطقة الشرقية، خاصة خورفكان وكلباء.

بعض الحجاج يرى السفر بالشاحنة براً، أمراً في غاية الصعوبة، لكنه ينسى أيضاً أنَّ رحلة السفينة البحرية غير مريحة، فالدُّوار والبرد المتواصلان، وخطر ارتفاع الأمواج والرياح العاتية، مخاطر تتهدد حياة الحجاج آنذاك وتجعلهم عرضة للموت في أيّ لحظة.

رحلة العودة

عادة ما تكون رحلة العودة إلى الديار بعد الحج، أكثر مشقة من رحلة البداية.. فالحجاج أنهكتهم المناسك والسفر، والرواحل أضناها المسير أشهراً، لكن فرحة العودة أقوى من كل ذلك. وقبل أخذ طريق العودة، يستوجب على الحاج إحضار ماء زمزم وبعض الهدايا للأهل والأصدقاء والجيران.. الحلويات للأطفال، والحليّ الفضية والذهبية للنساء، والمسابح والسجادات والطاقيات للرجال.

تأخذ القافلة مجدداً طريقها إلى الوطن، عبر المسالك الجبلية والمنحدرات الرملية الوعرة الممتدة ما بين السعودية والإمارات، غير مكترثة بما قد يعترضها من مشاق، حسبها الوصول إلى الأهل والأحباب. وبعد أشهر مضنية من السير المتواصل تقترب القافلة رويداً رويداً.. تدخل الحيّز الجغرافي للأحياء والبلدات والقرى، تسير ببطء.. يرصدها مبّشر من أهل الحي قبل أن تصل أحياناً، فيطوف بالبيوت مسرعاً بخبر طال انتظاره: وصل الحجاج، وبذلك يستحق هدية رمزية على هذه البشرى.

تأخذ القافلة طريقها داخل الأحياء حياً تلو آخر، ويأخذ الحجاج أيضاً طريقهم إلى بيوتهم، وبعدما يستريحون ويقسّمون الهدايا على الأهل والجيران والأصدقاء، ويقضون أياماً قليلة للراحة، يتنادون مجدداً لمأدبة يُقيمها كلُّ واحد منهم يوماً ببيته، يطعمون ويستذكرون دروب رحلتهم الشاقة والأثيرة.

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

الحج في الواقع الرقمي

د. علي بن ذيب الأكلبي *

الحجُّ رحلةُ العمر يسعى كلُّ مسلم لها جاهداً استجابةً لنداء نبي الله إبراهيم: "وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (28) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (29)" سورة الحج

وقد فرض الله الحجَّ في السنة التاسعة للهجرة، وتكتنف رحلة الحجِّ الكثير من المتاعب والصعاب خاصة لمن كان نائي الدار وشاسع المحل؛ فالخوف من قُطّاع الطرق، وصعوبة الرحلة، ووعورة الطريق، وكلفة الزاد والمتاع، وعدوى الأمراض، وطول المدة التي يغيب فيها الحاج عن أهله وذويه، جميعها مخاطر تنتظر كلُّ من يهم بالحج من الأقطار الإسلامية، وقد كانت العرب تعدُّ الحجَّ موسماً عظيماً قبل الإسلام، وتفتخر قريش بخدمة الحجيج، وتقدِّم السقاية لهم والوفادة، إيماناً منهم بأهمية خدمة ضيوف الرحمن.

ومنذ شرع الحجُّ في الإسلام صار كلُّ من أراد الحجَّ يسعى إلى امتثال التوجيه الربّاني الكريم: "الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (197)" البقرة.

ولأنَّ الحجَّ أحد أركان الإسلام؛ فالجميع يسعى للقيام به. ولقد عانى الحجيج طيلة السنين الماضية، منذ شرع الحج وحتى وقت قريب، من مصاعب كثيرة تواجههم في رحلتهم السنوية الى الحج، إلا أنَّ المملكة العربية السعودية، ومنذ تأسيسها، أَوْلَت كلَّ عناية وبذلت كلَّ جهد في سبيل تسهيل رحلة الحج سنة بعد سنة، وتذليل الصعوبات عاماً بعد عام، حتى أصبحت رحلةُ الحجِّ اليومَ رحلةَ عبادة وسعادة، ولا يواجه فيها الحاجُّ أيَّ مشقّة ولله الحمد، وهذه محاولة للتعريج على بعض مظاهر الخدمات الرقمية في الحج التي تسمح مساحة المقال بها؛ فقد استثمرت البحوث العلمية ومستجدات الذكاء الاصطناعي، وتمَّ تسخير أبحاث التطوير في كافة المجالات لخدمة الحاج، ومن ذلك اعتماد وزارة الحج والعمرة في المملكة العربية السعودية التحوّل الرقمي. ومن مظاهر ذلك التحوّل تطبيق الإسوارة الإلكترونية على الحجاج، وبها شريحة ذكية تشتمل على معلومات تعريفية للحاج تساعد على التعرُّف إلى الحجاج، وقراءة بياناتهم إلكترونياً، خاصة الذين لا يتحدثون العربية، كما يمكن من خلالها التعرُّف إلى الأشخاص الذين هم في حالة إغماء أو عدم قدرة على الكلام، كما يمكن من خلالها مساعدة الحاج في الوصول إلى مقر سكنه عندما يحتاج إلى إرشاد، وتشتمل الإسوارة الإلكترونية على الرقم الحدودي، ورقم التأشيرة، ورقم جواز السفر، وغيرها من البيانات التي يمكن استخدامها في قواعد بيانات الوزارة، وتشمل كذلك صورة الحاج والبيانات الأساسية له، وبيانات السكن بمكة المكرمة، والمدينة المنورة، والمشاعر المقدسة، وهواتف المعنيين بخدمة الحاج.

وهذا يسرّع في خدمة الحجيج وفق أعلى معايير الجودة، مع تسريع معدلات الإنجاز في العمليات التشغيلية لحج هذا العام.

وبدأت وزارة الحج والعمرة السعودية التواصل مع الجهات الحكومية بإرسال واستقبال المعاملات إلكترونياً، والاستغناء عن الطرق التقليدية الورقية بعد اكتمال متطلبات التحوّل للتعاملات الإلكترونية مع برنامج التعاملات الإلكترونية الحكومية (يسّر)، ما يخفّض النفقات، ويحسّن الأداء، ويرفع مستوى الإنتاجية لتعزيز التحوّل الرقمي وفق رؤية 2030 عبر مبادرة "حج ذكي" التي يمكن الوصول إليها عبر البوابة السعودية للتعاملات الإلكترونية الحكومية "سعودي"، وهذا ييسِّر على الحجاج تأدية مناسكهم.

وفي يومنا هذا يصدق على ما وصلت إليه خدمات الحج من تطوّر كبير إلى التسمية بالحجّ الرقميّ، حيث أصبح الكثير من التطبيقات الرقمية الذكية في متناول الحاج لخدمته وتسهيل رحلته وتمكينه من الحج بأفضل وأيسر وأسرع طريق، وهذه عينة من التطبيقات التي تقدّمها الجهات الخدمية السعودية لصالح الحاج بكل جنس ولون:

تطبيق المقصد: وهو تطبيق تقدّمه الرئاسة العامة لشؤون الحرمين يساعد الحجاج والمعتمرين، عبر نظام للملاحة الإلكترونية داخل المسجد الحرام، على تحديد مواقعهم بدقة داخل أروقة المسجد، ومعرفة طريقهم إلى أي وجهة يريدونها، ويعمل من دون اتصال بالإنترنت، فلا يحتاج إلى الاتصال بالشبكة.

تطبيق أسعفني: وهو تطبيق مقدَّم من هيئة الهلال الأحمر السعودي، يساعد في حالات الطوارئ وإمكانية الإبلاغ عن الحالات الإسعافية، وإرسال استغاثة عاجلة في حالات الطوارئ القصوى لكل من الهلال الأحمر والأشخاص المقرّبين للحاج عن طريق خدمة الرسائل القصيرة، كما يساعد هذا التطبيق على دعم فئة ذوي الاحتياجات الخاصة من الصمّ والبكم لتقديم البلاغات، وتسجيل تفاصيل تاريخ الحاج الطبي للتعرُّف إلى الحالة بأسرع وقت، كما يعرّف المستخدم بالمواقع الخاصة بالمنشآت الطبية القريبة من المبلّغ والعديد من الميزات الأخرى.

تطبيق محدد الحج والعمرة الملاحي: الذي أطلقه البريد السعودي ليزوّد الحاج والمعتمر وبقية المستخدمين بالخرائط الرقمية لمنطقة المشاعر المقدسة والمواقع الإسلامية في المدينة المنورة.

ويقدِّم التطبيقُ خدماتٍ أخرى مثل التعريف بمكاتب الطوافة والخدمات والمرافق، ويساعد على تحديد مواقيت الصلاة وحالة الطقس في منطقة المشاعر المقدسة.

تطبيق صحة: وهو من إنشاء وزارة الصحة السعودية، ويعدُّ عيادة طبية متنقلة، ويمكِّن المستخدم من التحدث مع مجموعة كبيرة من الأطباء في تخصصات مختلفة، واستشارتهم بشأن الحالة الصحية، وفيه خاصية المحادثة المرئية وإمكانية تقديم بعض الإرشادات والتشخيص المبدئي للحالات العادية والتوجيه للحالات الأخرى.

تطبيق مناسكنا: يساعد على تحديد الحدود المكانية الشرعية للحرم والمشاعر المقدّسة بدقة، كما يساعد على تحديد الأماكن ذات الأهمية العامة، مثل أقرب المساجد والمطاعم والحمامات ومراكز التسوق، والبحث عن أقصر طريق ممكن من موقعك الحالي، وهو خاص بقاصدي الأماكن المقدّسة في مكة المكرّمة والمدينة المنوّرة.

وتستمر الجهود للتطوير التقني لخدمة الحجيج، حيث أطلق اتحاد الأمن السيبراني السعودي هذا العام 2018 «هاكاثون الحج» الذي نظمّه الاتحاد استشعاراً منه بأهمية استثمار تقنية المعلومات لتطوير خدمات هذا الموسم، حيث يقوم أكثر من مليوني شخص من شتى أنحاء العالم كلَّ عام، بالتوجّه إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة لأداء مناسك الحج، حيث شملت مجالات المنافسة المجالات المتعلقة بتحسين خدمة توفير الأغذية والمشروبات والمواصلات وإدارة الحشود، والتحكّم في حركة المرور، وترتيبات السفر والإقامة، وخدمات الصحة العامة وأعمال إدارة النفايات، وخدمات التسكين، وحلول التواصل والحلول المالية، والتي تمَّ تنظيم النسخة الأولى من المسابقة لهذا العام 2018 من «هاكاثون الحج» في مدينة جدة، حيث شارك فيها مطوِّرون من الجنسين من مختلف الدول بما فيها المملكة العربية السعودية ودول الخليج والعالم، وقدّم المشاركون العديد من الابتكارات التقنية التي هي في طريقها للتطبيق بما يعزّز ويطوّر من خدمات الحج الرقمي.

تقبّل الله من الحجاج، ووفّق بلاد الحرمين المملكة العربية السعودية التي لم تتوانَ في كلّ ما من شأنه تسهيل الحج وخدمة ضيوف الرحمن من الحجاج والمعتمرين، وما زالت عجلة التطوير مستمرة في الارتقاء بتجربة الحج، ونحن اليوم في واقع الحج الرقمي.

* جامعة الملك سعود

> استثمرت البحوث العلمية ومستجدات الذكاء الاصطناعي وتمَّ تسخير أبحاث التطوير في كافة المجالات لخدمة الحاج

«خضر لك» التركية..المثوى الأخير لامرئ القيس

محمد زاهد غول*

تُجمع المصادر التاريخية على أن وفاة الشاعر العربي الجاهلي، صاحب إحدى المعلقات، امرؤ القيس، كانت في «أنكرة»، أي العاصمة التركية أنقرة، كما يقول فيليب حتي في موسوعته تاريخ العرب (1/115)، ولكن تاريخ الوفاة مختلفٌ فيه أولاً، كما أن سبب الوفاة مختلفٌ فيه أيضاً، وإذا صحت بعض الأخبار عن سبب زيارة امرئ القيس للعاصمة البيزنطية القسطنطينية ولقائه قيصرها، فإن ذلك يرجع إلى أن الشاعر والأمير العربي امرأ القيس قد تم اغتياله بسلاح مسموم من قبل قيصر الروم، بحسب توصية أحد وزراء القيصر أو بوشاية من قبيلة بني أسد في رواية أخرى، تنصحه بعدم الثقة بامرئ القيس، الطامح إلى استعادة ملك أبيه حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر (آكل المرار) الكندي، فيكون امرؤ القيس قد فشل في الجهة التي ذهب إليها يطلب النصرة منها، وهذا أدى إلى فشل مشروعه السياسي بالكامل، وهذا مثار سؤال عن حقيقة أن يذهب أمير مثل امرئ القيس ليطلب المساعدة العسكرية من دولة معادية لقومه أولاً، فهل كان القيصر الرومي ليرسل معه جيشاً يقاتل من أجله، وما الثمن الذي كان يمكن أن يقدمه امرؤ القيس لقيصر الروم مقابل ذلك؟ هذا إذا صحت قصة طلب المساعدة من قيصر الروم، وإلا فهي محل شك وجدل!

وسواء صحت القصة أو لم تصح فلا شك أن وجود قبر امرئ القيس على تلة (خضرلك) في العاصمة التركية أنقرة هو أحد الأدلة على صحة أشياء من الرواية السابقة وليس كلها، فوجود المعلم التاريخي هو دليل إثبات، ونفيه يحتاج إلى دليل مقبول، وهو ما لم ترد حوله رواية أخرى حتى الآن، وقد أشار الكاتب والشاعر التركي مهمت سلاي في مقالٍ له عام 2014 في موقع اتحاد كتّاب الأتراك إلى أن شاعر الاستقلال مهمت عاكف آرسوي والنائب السابق في البرلمان التركي الأول، ذكر أنه أثناء تنقله بين مقر إقامته في زاوية تاج الدين والبرلمان التركي في حي أولوس كان يمر بضريح الشاعر امرئ القيس على تلة خضرلك أو هيدرليك، وقد وصلت إلينا صور للضريح تُظهره بشكل سليم تعود إلى عام 1930، وقد أعلن رئيس اتحاد كتاب أوراسيا عمر دلي أوغلو أنه في تلة

ديوان امرئ القيس

خضرلك التي تشرف على أنقرة، تم اكتشاف ضريح الشاعر العربي الجاهلي امرئ القيس، وتُبذَل الجهود للحفاظ عليه وترميمه، وتوقع أوغلو أن تبدأ جهود مكثفة لوضع المكان ضمن القوائم الأثرية، متوقعاً أيضاً أن يتحول المكان إلى مزار للسائحين العرب.

فتى كندة

ولد امرؤ القيس عام 520م، أو 526م، واسمه حندج بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي، وامرؤ القيس أحد ألقابه، ومعناه الرجل القاسي أو الشديد، وهذا اللقب اشتهر على أكثر من شخص في الجاهلية غير شاعرنا الذي عُرف أيضاً بذي القروح؛ وأما كناه فقد عرفت له ثلاث كنى وهي: أبووهب وأبوالحارث وأبوزيد، ولكنه اشتهر بلقب امرئ القيس أكثر من غيره، وكانت وفاته عام 565م، قيل بسبب إصابته بالجدري خلال عودته من القسطنطينية.

وامرؤ القيس من قبيلة كندة، وهي قبيلة يمنية عُرفت في النصوص القديمة باسم «كندة الملوك» الذين أقاموا مملكة في نجد والبحرين بلغت أوجها في القرن الخامس للميلاد، وهو ابن هذه المملكة قبل مقتل أبيه الملك حجر على يد قبيلة بني أسد، حيث كان ملك أبيه حجْر، يشمل ملك كندة وبني أسد، فاختلف معهم، فقتلوه، بتحريض من كاهنهم: عوْف بن ربيعة الأسدي، بعد أن اعتدى الملك حجر على قادتهم.

وحيث إن العرب كانوا في ذلك الوقت يتبعون إحدى القوتين العظميين في زمنهم، فارس والروم، فقد ذهب العرب المناذرة إلى اتباع الفرس، والعرب الغساسنة إلى اتباع الروم، أمّا مملكة كندة، فقد اتخذت موقفاً متردداً، فتحالفت مع الفرس، وتزوجت هند بنت عمرو عمّة امرئ القيس بالمنذر الثالث، ملك الحيرة، ولكن لأنّ الحارث بن عمرو الكندي كان مزدكياً، فقد طارده كسرى أنو شروان، وكلّف المنذر بن ماء السماء به، ومن هنا نشأت العداوة مع المناذرة، أمّا والدته، فهي فاطمة بنت ربيعة أخت المُهلهل وكُليب، كما تقول المصادر العربية، أي أن كُليباً والمُهلهل خالان لامرئ القيس.

غداً أمر

كان من عادة أبناء الملوك في ذلك الوقت أن ينشؤوا على الترف واللهو، ومنهم امرؤ القيس، الذي نشأ في شبابه شاعراً غارقاً في الملذّات واللهو، وفي التغزل بالنساء، وشرب الخمر مع ندمائه، وقد طرده أبوه الملك حجْر، بسبب هذا السلوك الماجن، ولكن عندما قتل بنو أسد أباه حجْراً، وقد كان امرؤ القيس في حضرموت يمارس ملذّاته، جاءه الخبر، فقال: «اليوم خمرٌ، وغداً أمر»، فأصبحت مثلاً، وعندها انتقل الشاعر من مرحلة المجون إلى مرحلة الثورة، متنقلاً بين قبائل العرب طالباً مساندته من أجل الثأر لأبيه، واسترداد مُلْكه المغتصب، فساندته بعض قبائل العرب في صراعه مع بني أسد، ورفضت بعض القبائل وخانته، كل قبيلة بحسب درجة ولائها للروم أو للفرس، وقد وجد امرؤ القيس صعوبة في تحقيق هدفه، فلجأ إلى سياسة أوسع في الصراع بين القبائل العربية وفكّر في طلب المساعدة الخارجية من الدول العظمى، وبما أنّ المنذر بن ماء السماء، كان يلاحق امرأ القيس لقتله، فقد نصحه بنو فزارة، والحارث الغسّاني، أن يلجأ إلى قيصر الروم جوستنيان، وأن يستنصره لاسترداد ملكه. وهكذا، فإن فكرة اللجوء إلى الروم، هي فكرة الحارث الغسّاني، المتحالف مع الروم.

أخذ امرؤ القيس جمعاً من أصحابه وندمائه وذهب للقسطنطينية، وقد نظم في رحلته إلى القسطنطينية

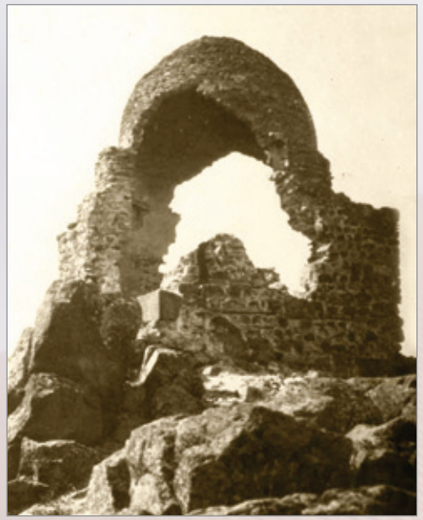

ضريح امرئ القيس

الأبيات التالية:

بكى صاحبي لمّا رأى الدّرب دونه
وأيقن أنّا لاحقان بقيصرا
فقلت له: لا تبك عينك إنما
نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا
وإني أذين إن رجعت مملكاً
بسير ترى منه الفرانقَ أزورا
على ظهر عاديّ تحارُ به القطا
إذا سافه العود الدّيافيّ جرجرا

وعندما وصل امرؤ القيس إلى القسطنطينية استقبله القيصر، وأكرمه، ونادمه، ووعده بإرسال جيش يُسانده، لكنّ بني أسد، ومستشاري القيصر، وقفوا ضدّ إرسال الجيش لمساندة امرئ القيس كما سبق ذكره، وحجة المحرضين أن امرأ القيس، قد ينقلب ضدّ القيصر في حال انتصاره، ما دفع القيصر للتراجع عن قراره، فغادر امرؤ القيس القسطنطينية باتجاه أنقرة.

ولكن القصة لا تقف عند هذا الحد، إذ إن اقتناع الملك بحجة المحرضين ضد امرئ القيس، دفعه إلى اتخاذ قرار اغتياله بالسم حتى لا ينكشف أمره، فأهدى القيصر إلى امرئ القيس حلة ذهبية وأمره أن يلبسها بعد خروجه من عنده، إشارة إلى

تم اغتياله بسلاح مسموم من قبل قيصر الروم بعد وشاية تفيد بعدم الثقة به لطموحه إلى استعادة ملك أبيه

قبول القيصر مساعدته، وكانت على الحلة الذهبية سموم، وما إن وصل إلى أنقرة حتى ظهرت على جلد امرئ القيس الطفوح التي تشبه مرض الجدري، ومات بسببها في أنقرة، ومنها جاءت تسمية امرئ القيس بذي القروح.

وفي هذه الحالة أدرك امرؤ القيس أنه غير قادر على مواصلة سفره إلى بلاده، وقرر الإقامة حتى لو مات في مقامه، وفي ذلك يقول:

أَجَارَتَنَا إِنَّ الخُطُوبَ تَنُوبُ
وإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ
أجارَتَنَا إنّا غَرِيبَانِ هَاهُنَا
وكُلُّ غَرِيبٍ للغَرِيبِ نَسِيبُ
فإنْ تَصِلِينَا، فَالقَرَابَةُ بَيْنَنَا
وإنْ تَصْرِمِينَا فالغَرِيبُ غريبُ
أجارَتَنَا مَا فَاتَ لَيْسَ يَؤُوبُ
ومَا هُوَ آتٍ فِي الزَّمانِ قَرِيبُ
ولَيْسَ غريباً مَن تَنَاءَتْ دِيَاره
ولَكنَّ مَنْ وَارَى التُّرَابُ غَرِيبُ

في هذه الأبيات يصف امرؤ القيس حالته بأنه تعرض للخطوب والمخاطر، وأنه لن يتحرك من مقامه القائم فيه ما أقام (عسيب)، وعسيب جبل من جبال الحجاز، فهو يُشبّه نفسه بالجبل الذي لا يغير مقامه، وأنه سوف يموت في هذه البلاد غريباً، ويخبر امرؤ القيس بصعوبة حاله وأنه يتوقع الموت القريب، ويحزن لحاله أن يموت غريباً في أنقرة بعيداً عن موطنه.

يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان: (يُقال: لا أفعل ذلك ما أقام عسيب). وقال (الحازمي) في المؤتلف والمختلف في أسماء الأماكن: (عسيب: جبلٌ حجازي دفن عنده صخر - أخو الخنساء. قالت (الخنساء):

أجارتنا لست الغداة بظاعنٍ
ولكن مقيم ما أقام عسيبُ

وقال الزمخشري: عسيب: جبلٌ لهذيل، وجبل لقريش، وقال أبوعبيد البكري: جبل في ديار بني سُليم إلى جانب المدينة. وعسيب: جبل من جبال العرب في جزيرتهم - وإنما ذكره امرؤ القيس في سياق المثل فقط، وقد استعملت العرب هذا الجبل في ضرب المثل في البقاء وعدم الزوال، أي أن امرأ القيس كان قد اتخذ قراره بعدم مغادرة أنقرة ومات فيها.

وهكذا كان موت امرئ القيس في أنقرة، حيث ذهب يطلب النصرة من قيصر الروم فكان حتفه، ونهاية ملك بني كندة، وكان أبوه حجر آخر ملوك كندة السياسيين، ولكنّ ملك امرئ القيس في الشعر خلّده شاعراً مؤسساً للشعر العربي في الجاهلية، وقد سبقه بعض الشعراء، ولكنه فاقهم واشتهر أكثر منهم.

كان موت امرئ القيس عام 565م، وذلك قبل ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بستّ سنوات، أي أن شعر امرئ القيس كان في القمة من الفصاحة العربية التي واكبت ظهور الإسلام، ولذا لم تكن ألفاظ شعره ومعانيها بعيدة عن لغة القرآن الكريم، بدليل استدلال كبار المفسرين بأشعار العرب في الجاهلية في تفسير بعض كلمات القرآن وآياته، فهي في مرحلة زمنية واحدة من حيث اللغة واللسان العربي الذي نزل به القرآن، والفارق بين العصرين الجاهلي والإسلامي من حيث العقائد والعبادات والعادات المذمومة فقط.

وبالنظر إلى المدة الزمنية التي عاشها امرؤ القيس يتبين أنها كانت نحو خمسة وثلاثين عاماً أو تزيد قليلاً، أي أنه مات وهو شاب، ويمكن القول إن سبب موته ليس الثأر لأبيه فقط وإنما طلب الملك، فما كان محتاجاً للسفر إلى القسطنطينية وملاقاة قيصر الروم للثأر لأبيه فقط، وإنما كان حالماً أن يعيد بناء مجد ملوك كندة، وهذا جانب مهم في الكشف عن العلاقات السياسية الدولية في ذلك الوقت بين بلاد العرب وما حولها من دول فارس والروم، ووجود قبر امرئ القيس في تركيا هو بمثابة وجود قبر لأحد قادة العرب السياسيين الذين استنصروا قياصرة الروم فخانوهم وخذلوهم وقتلوهم، فالقبر في أحد جوانبه التاريخية والزمانية والمكانية شاهد تاريخي، ووجود القبر في أنقرة وخارج الأراضي العربية شاهد على قِدم العلاقة التاريخية بينهما أولاً، وشاهد على قِدم اهتمام الروم بما يجري في بلاد العرب ثانياً، وتدخلهم في شؤونهم الداخلية ثانياً، وعليه فإن التغيرات التي شهدتها بلاد العرب بظهور النبوة فيهم في ذلك العصر، لا بد أنها كان تحت المراقبة الدولية من

اهتم المستشرقون بشعر امرئ القيس فترجم الهولندي فرنر معلقته إلى اللاتينية ونشرها في ليدن عام 1748م

الفرس والروم أيضاً.

رحلة القسطنطينية

إن ذهاب امرئ القيس إلى القسطنطينية من أهم الأحداث في حياته، فلا يتم التأريخ لسيرته إلا وذكرت قصته مع قيصر الروم وما جرى بينهما، بل قد يكون هذا الحدث من أهم العوامل التي تحدد الفترة التي توفي فيها، فذهابه إلى القسطنطينية ولقاؤه قيصر الروم الذي توجّه إليه لطلب المعونة في استرداد ملك أبيه معلوم في تاريخه ومكانه، فقد كان إمبراطور بيزنطية حينذاك هو جوستنيان، وهو آخر أعظم أباطرة بيزنطية، وقد حكم من عام 527م إلى 565م، وخاض حروباً امتدت طوال حياته ضد كسرى فارس «أنو شروان»، وكانت أنطاكية والمناطق المحيطة بها مسرحاً لتلك الحروب، وقد تم توقيع أول معاهدة سلم بينهما عام 532م ، وسُمِّيت «معاهدة السلام الأبدي»، غير أن الحرب عادت إلى الاشتعال وسقطت أنطاكية بيد الفرس عام 540م. وبقيت بأيديهم حتى عام 545م. حين وقَّعت بينهما اتفاقية هدنة، وتجدَّدت الحرب عام 551م، واتفق مجدَّداً على هدنة عام 557م، ولم تعد أنطاكية إلى بيزنطية إلّا عام 561م، حين اتفق جوستنيان وأنو شروان على هدنة لمدّة خمسين سنة، بشرط أن تدفع بيزنطية الجزية لفارس.

ويستفاد من هذه التواريخ أن امرأ القيس لم يذهب إلى القسطنطينية إلا بعد عام 561م، بعد انتهاء تلك الحروب وبعد عودة أنطاكية إلى الروم، لأن طريق رحلته إلى القسطنطينية يمرّ في تلك المناطق التي لن يجتازها وهي بأيدي أعدائه من الفرس وأنصارهم من العرب، ومنها حدد بعض الباحثين أن وفاة امرئ القيس حدثت في طريق عودته من القسطنطينية بين عام 563م و 564م وقبل عام 565م تاريخ وفاة قيصر الروم جوستنيان، ولذا لا بد من اعتبار وفاة امرئ القيس جزءاً من تاريخ دولة الروم أيضاً، بغض النظر عن صحة قصة قتله، طالما أن ما هو مؤكد هو زيارته لقيصر الروم ووفاته ودفنه على أرضها في ذلك الوقت.

إرث أدبي

أخذ وجود قبر امرئ القيس في أنقرة اهتماماً كبيراً لدى المؤرخين لحياته وسيرته في قومه، والأوضاع السياسية في عصره، كما أن تميزه في إبداعه الشعري في عصره جعل منه محل اهتمام الأدباء والشعراء والمؤرخين لتاريخ الشعر العربي قديماً وحديثاً، وقد بين بعض الباحثين اهتمام المستشرقين بشعر امرئ القيس، فقد ترجم فرنر (Warner) الهولندي، معلقة امرئ القيس إلى اللاتينية، ونشرها في ليدن، العام 1748م، وترجم المعلقة البريطاني جونز (Jones)، ونشرها في العام 1782م، وأعاد طبعها كلوستون في كتابه عن الشعر العربي، ونشرها في جلاسجو العام 1881م، وترجمها إلى اللغة السويدية، بولمير (Bolmeer)، ونشرها العام 1824م، وترجمها إلى الفرنسية كل من: سلفستر دي ساسي (de sacy)، وكوسان (Coussin)، ونقلها إلى الألمانية هارتمان (Hartmann) في العام 1802. وترجمها إلى اللغة الروسية، موركس (Murkes)، كما شرحها فرسك باللغة التركية، ونشرها في العام 1898م، وترجمها إلى الإسبانية، فيدريكو كورينتي دي قرطبة (F.deCordoba)، أمّا ديوان امرئ القيس، فقد ترجم إلى اللغة الألمانية بتصرف في شتوتغارت في العام 1843، ترجمه روكرت (Rukert)، وترجمه إلى اللاتينية دي سلان، في العام 1837.

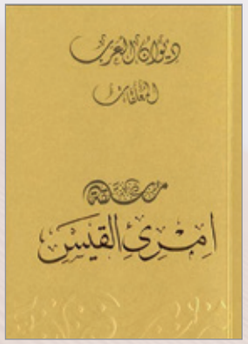

معلقة امرئ القيس

إن ترجمة شعر امرئ القيس إلى اللغات العالمية ومنها اللاتينية، والإنجليزية، والسويدية، والفرنسية، والألمانية، والروسية، والإسبانية، والدراسات العالمية عنه، تُظهر الاهتمام العالمي بشخصية الشاعر والأمير امرئ القيس، كما تعطي أهمية لقصة طموحه السياسي ونهايته المأساوية ودفنه وقبره في أنقرة في تركيا، وهذا يشير إلى أهمية تاريخية وسياحية لقبره وما يتطلبه من تهيئة تتناسب مع استقبال القاصدين لهذا المعلم السياحي في تركيا، فقصة امرئ القيس وموته وقبره في أنقرة هي صورة عن طبيعة الحياة السياسية في البلاد العربية قبل ظهور الإسلام، وكيف كانت دولتا فارس والروم تؤثران في صراعات القبائل العربية في الجاهلية.

كاتب ومترجم تركي*

قصيدة ابن عجلان
حقائق تاريخية تصحّح المفاهيم

سعد بن عبد الله الحافي*

يتضمن الشعر الشعبي دلالات عظيمة تفتح للباحثين آفاقاً جديدة تساعد على تصحيح مفاهيم وإجلاء حقائق تاريخية في فترة زمنية تمتد إلى ألف سنة، وبين يدينا قصيدة يعود تاريخها إلى مطلع القرن العاشر الهجري، وقد تضمنت دلالات مهمة، وكان لي السبق في تحقيقها ونشرها.

النص:

يقول ابن عجلان بنفسٍ عزيزة
بعيدٍ منافي غيضها من قريبها
طويل الرجا قطاع الآمال كم حدا
جوال لاجي مهجتي ما فضيبها
رفيع ارتفاع الراس من روس لابه
بعادٍ عن الزهدا عزيزٍ غريبها
ثقات عدات ذات فكر عن الملا
بحور السخا من فرع الأجواد صيبها
ذرا الجار عيد الضيف في حزة القسا
الى قلّ من در الخلايا حليبها
فقلته على بيت ابن عثمان راشد
يمينه ما يشكي عياها قريبها
لهم كل درب يوجب الحمد منهج
وعن كل ضيم جارها يتقي بها
على سبّقٍ جودٍ جيادٍ طلايع
عليهن من لا يختبي عن طليبها
عليهن قوم من بني ابن هاشم
بزرقاً وخظراً باللقا يصطلي بها
تسقي بها اعدام العدا كل هيه
الى ثار من غبو السبايا كثيبها
فقلته على بيت ابن مهدي مهمل
والامثال ما تغبا فطين مجيبها
الأجواد امثال الجبال الذي بها
شراب وزبن للذي يلتجي بها
رفاع العناصر من عقيل ابن عامر
رقوا بعالي الجود عالي تعيبها
مضى ذا وياغادي على عيدهيه
جماليةٍ يطوي الفيافي خبيبها
الى سرت من هجر لك الرشد قايد
تعرض لك ارشاد المعاني وطيبها
ويممتها النجم اليماني مجنب
بداوية مجتازها يختشي بها

أول ذكر لمنطقة الظفرة في أبوظبي شعرياً جاء في القرن الثامن الهجري وورد عند الشاعر راشد الخلاوي

الى جيت بعد العشر منا جماعة
ذرا الجار والجانين عن ما ينيبها
فعمهم التسليم مني وخص لي
فتىً حاش من زين المعاني غريبها
دافي الذرا سيفٍ صحيبي وقره
سلامٍ عدد ما قاد شمس مغيبها
وقل يا حما الجانين عن كل نكبه
وراقي ذرا العليا وداعٍ خطيبها
ومن عاش ما يومٍ شنا اللوم عرضه
ولا قنع بالزهدا ولا يرتضي بها

الشاعر وعصره

لم نجد من أشار لهذه القصيدة أو شاعرها سوى هذا المخطوط لـ «جامع مجهول»، وجاء في تقديم القصيدة «مما قال ابن عجلان»، ويبدو أنه أخذ هذا من أول بيت في القصيدة، والذي وسم فيه الشاعر قصيدته بقوله «يقول ابن عجلان»، ولكن القصيدة مقاربة في أسلوبها ولغتها لقصائد القرن التاسع والعاشر الهجري، وقد تكلم الشاعر عن نفسه وأنه من رؤوس قبيلته التي تنتسب إلى بني هاشم، وبالتالي يكون اسمه ابن عجلان الهاشمي.

ثم يفهم من القصيدة أنه مجاور لبني عقيل بن عامر، وصحفت «عامر» في المخطوط إلى «ماجد»، فليس هناك قبيلة تدعى عقيل بن ماجد:

رفاع العناصر من عقيل ابن عامر
رقوا بعالي الجود عالي تعيبها

ثم بعد ذلك نجد الشاعر يخاطب المنجوب الذي ينطلق من هجر جهة الجنوب ويقدر مسيره على راحلته بمدة عشرة أيام ليصل إلى (سيف) صاحب الشاعر، وهذه المسافة تقدر بما بين 500 إلى 600 كيلومتر تقريباً، وهذا يدل على أن المنجوب سيكون مكان وصوله إلى الأطراف الغربية من منطقة الظفرة، وهي ما يعرف اليوم بالمنطقة الغربية من إمارة أبوظبي، وتشير المصادر التاريخية إلى أن عمان خضعت لنفوذ دولة بني جبر على يد سيف بن جبر في مطلع القرن العاشر الهجري، ما يؤكد أن الممدوح بهذه القصيدة هو سيف بن أجود بن زامل بن حسين بن جبر العقيلي. وما يؤكد ذلك هو استمرار ذكر بني هلال الجبريين في أحداث المنطقة حتى القرن الحادي عشر الهجري.

ولاشك أن أول ذكر لمنطقة الظفرة في النصوص الشعرية ورد عند الشاعر راشد الخلاوي من أهل القرن الثامن الهجري، في قصيدته البائية الشهيرة، حيث يصف راحلة النجاب التي تعود في أصولها إلى إبل الظفرة، والتي اشتهرت في ذلك الوقت بسرعة الجري ونجابة الأصل، وفي هذا دلالة على حرص أهل شمال الجزيرة العربية (الصحراء الشامية)، حيث كان يقيم راشد الخلاوي، على اقتناء هذا النوع من الركائب:

فيا راكبٍ من فوق علكوم كورها
خرسا اللسان ومشخص العين قاطبه
حمراً من الظفره طوالٍ ضلوعها
وفجٍ نحرها والمحاقيب شايبه
على كورها حرٍ تقل باز ناصب
شمحوط حي طال بالخال ناجبه
قليل الكرى بدر السرى باز من سرى
شق الورى يشفي حشا قلب نادبه
تلقاه يا «عواد» عجلٍ وقل له
يقول الخلاوي حاضر الراي غايبه

أرسل بن عجلان رسولاً من الأحساء إلى أبناء عمومته في الظفرة

معاني النص

بدأ الشاعر مفتخراً ومعتزاً بنفسه وبني قومه بني هاشم الذين هم أهل عزة ومروءة وشجاعة ورأي صائب وأهل كرم وحسن جوار، في سنين الشح والجدب وأن هذه هي صفات أجواد العرب وكرمائهم، وهذا يتفق مع وصف الشاعر مهمل بن مهدي للأجواد، وكذلك مع ما ذكره الشاعر راشد بن عثمان من مراعاتهم للأقرباء وحمايتهم، وأن أقرباءهم يأمنون جانبهم ولا يخشون غدرهم، ثم يذهب الشاعر إلى مخاطبة النجاب الذي يمتطي ناقة قوية (عيدهيه) وهو اسم نوع من الإبل كان شائعاً في القرون السابقة (الإبل العيدية) وأن هذا النجاب سينطلق من الاحساء باتجاه نجم سهيل (الجنوب)، وسيقطع الصحراء الخالية الموحشة إلا من قطعان النعام وريم المها (البقر الوحشي) وستستغرق رحلته عشر ليال، على ظهر ناقته حتى يصل وجهته، حيث يقيم بني عقيل بن عامر، ثم يخص برسالته وتسليمه صديقَهُ سيف ويمتدحه.

دلائل النص

تحتوي القصيدة على دلالة مهمة، نعتبرها كشفاً جديداً في معرفة عصر الشاعر مهمل ابن مهدي، والذي يسميه البعض محمد المهادي، والذي لا تعرف له سوى قصيدة واحدة ارتبطت بقصته مع جاره، ولم نجد قبل اليوم من حدد عصره، ولكن الشاعر ابن عجلان ذكره في القصيدة بقوله:

فقلته على بيت ابن مهدي مهمل

والامثال ما تغبا فطين مجيبها

الأجواد أمثال الجبال الذي بها

شراب وزبنٍ للذي يلتجي بها

فالشاعر ابن عجلان استشهد بما قاله مهمل بن مهدي في ذكر الأجواد من قصيدته ذائعة الصيت:

الأجواد شروات الجبال الذي بها

ملاذ ومرعى والذرا ينلقابها

ومن هذه الدلالة المهمة يتضح لدينا أن عصر الشاعر مهمل ابن مهدي سابق لعصر بن عجلان الهاشمي أو معاصر له، ولكن قصيدة ابن مهدي سابقة لقصيدة ابن عجلان، وسيكون لنا وقفه مع الشاعر مهمل في أعداد قادمة بمشيئة الله تعالى.

ومما ورد في قصيدة ابن عجلان:

فقلته على بيت ابن عثمان راشد

يمينه ما يشكي عياها قريبها

لهم كل درب يوجب الحمد منهج

وعن كل ضيمٍ جارها يتقي بها

فلدينا شاعر اسمه راشد بن عثمان، وهنا نتساءل من يكون هذا الشاعر؟ عسى أن نجد إجابة شافية، وقد بحثت في قصائد راشد الخلاوي عن بيت بهذا المعنى ولم أجده فيما اطلعت عليه، وخاصة أنّ عصر راشد سابق لعصر ابن عجلان.

*** رئيس تحرير مجلة الحرس الوطني السعودية**
عضو اللجنة الثقافية ورئيس لجنة الأدب الشعبي بمهرجان الجنادرية

هذه (مدارات) تُحلِّق بالقارئ في فضاءات متعددة؛ تسلّي الخاطر، وتقدح زناد العقول الذّكية، وتبيّن كثيراً مما خفي على بعضنا في بساتين شتى من العلوم والنظرات العامة في الحياة والثقافة. وقد أنفق الكاتب في تحصيلها سنواتٍ، واستقى مادتها من بطون مئات من المراجع، حتى تحصّل من تلك الأصول المتفرقة مؤلّف واحد يُعدّ زاداً معرفيًّا لطالب العلم والثقافة.

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

إمارة دبي في الصحافة العربية (1925-1931م)

جريـدة الشـورى نموذجـاً

قاسم بن خلف الرويس*

من الجرائد التي تكتسب أهمية خاصة نظراً لصدورها في فترة سياسية حرجة من التاريخ العربي الحديث جريدة ذات انتشار وصيت اكتسبتهما بسبب منهجها الشجاع في الدفاع عن حقوق العرب والمسلمين، وجرأتها في تفنيد أعمال المستعمرين، وعدم خضوعها للمساومات المأجورة والأقلام المأجورة؛ جريدة (الشورى) القاهرية التي أصدرها الأديب الصحافي المناضل العربي الفلسطيني محمد علي الطاهر (1896-1974م)، واستمرت في الصدور سبع سنوات ابتداء من سنة 1343هـ/1924م حتى توقفها سنة 1350هـ/1931م بعد صدور 335 عدداً منها، وكانت ساحة لأقلام كبار الكتّاب العرب في زمانهم. وقد اكتنزت في ثناياها أخباراً ومعلومات مهمة عن بلدان الخليج العربي بصفة عامة، ومنها إمارات الساحل السبع التي شكَّلت فيما بعد دولة الإمارات العربية المتحدة، هذه الأخبار والمعلومات يعود أحدثها زمنياً إلى ما قبل الاتحاد بأربعين سنة، ومن هنا تكتسب أهميتها التاريخية ودلالاتها العلمية عند الباحثين في تاريخ الإمارات.

وكان أول ذكر في جريدة الشورى لإحدى الإمارات العربية من نصيب إمارة دبي وذلك في العدد 38 بتاريخ 24 من ذي الحجة سنة 1343هـ/ 16 يوليو 1925م، حيث زارها الزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي ضمن جولته في الخليج في عصر يوم الجمعة 23 يونيو 1925م، وقد قام مراسل الجريدة الخاص بدبي في ذلك الحين وهو الأديب أحمد بن سلطان بن سليم بتغطية تفاصيل هذه الزيارة وخصوصاً الحفلة التي أقامتها المدرسة الأحمدية لهذا الضيف ونشرت في الصفحتين الرابعة والخامسة من الجريدة.

أحداث الإمارات

في حين نشرت جريدة الشورى الخبر الأخير المتعلق بالإمارات في عددها الأخير الذي يحمل الرقم 335 بتاريخ 21 ربيع الأول سنة 1350هـ/ 5 أغسطس سنة 1931م، وتضمن تفاصيل مقتل عبدالرحمن بن سيف حاكم الحمرية، ونشر في الصفحة الثالثة من الجريدة ومصدر الخبر من دبي ولعله لمراسلها هناك أيضاً.

وما بين العدد 38 والعدد 335 وعلى مدى زمني يقع في بحر سبع سنوات نشرت جريدة الشورى ما مجموعه 64 مادة صحافية تتناول أحداث الإمارات العربية وعلاقاتها ورجالها والتي تتوزع أعدادها حسب سنوات نشرها بين 1925و1931م.

كما اختلفت مصادر الأخبار وجهاتها، وإن كانت غالباً ترد من مراسليها في دبي ومسقط، ولكن كان للجريدة أيضاً مراسلون يزودونها بالأخبار في البحرين وبندر عباس والبصرة وعمان وبومباي كما كانت تنقل بعض الأخبار من الجرائد الهندية والمصرية والإيرانية إضافة إلى مراسلات القرّاء.

وقد تركز أغلب المواد على النواحي السياسية بحكم الاضطرابات المستمرة في تلك الفترة سواء من جهة عمان أو من جهة الإنجليز أو في داخل الإمارات أو فيما بينها، حيث شكّلت ما يقارب 70 % من مجمل المواد في حين تناولت بقية المواد النواحي الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، كما أنَّ أكثر من 50 % من هذه المواد متعلق بإمارة دبي بطريقة أو بأخرى، حيث أصبحت منذ مطلع القرن العشرين ميناءً تجارياً نشطاً يقصده العرب والفرس والهنود وغيرهم، إضافة إلى وجود نخب متعلمة فيها جعلتها على اتصال مستمر مع العالم الخارجي من خلال ما يرسلونه إلى الصحف عن أحوالها، حيث كان مراسل جريدة الشورى الخاص مقيماً في دبي. ولذلك فإننا سنسلط الضوء على شيء مما يتعلق بإمارة دبي على صفحات الشورى التي جاء تعريف دبي في عددها الثامن والثلاثين بهذه الصورة في عام 1925م : «دبي: بلدة من بلاد ساحل عمان ... وهي اليوم أرقى تلك البلدان عمراناً وحضارة وقوة مادة ومعنى، والذي يسرُّ كل عربي بل كل شرقي على الإطلاق تمسُّك أهل البلاد بعروبتهم وإحرازهم الغنى الواسع، وكل ذلك بفضل تجارة اللؤلؤ»، ويمكن أن نختصر أخبار إمارة دبي الواردة في جريدة الشورى في عدد من العناصر وهي:

> **كان أول ذكر في جريدة الشورى لإحدى الإمارات العربية من نصيب دبي، وذلك في العدد 38 بتاريخ 16 يوليو 1925م حيث زارها الزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي**

رصد الأوضاع السياسية والاقتصادية

يعدُّ العام 1925م نقطة مفصلية في العلاقات السياسية مع بريطانيا، حيث قررت حكومتها بعد انقلاب رضا بهلوي وتنصيبه شاهاً لفارس، تغيير مسار خطها الجوي بين لندن وشبه الجزيرة الهندية من الساحل الفارسي إلى الساحل العربي، الأمر الذي زاد مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية مع إمارات الساحل المستقلة في شؤونها الداخلية، وهو ما يتطلب الحصول على موافقة حكّام الإمارات العربية على إقامة المنشآت الأرضية اللازمة، والتي لم تكن أمراً سهلاً لاعتراض الحكام والأهالي على ذلك خوفاً من النفوذ الاستعماري في الداخل، فاستخدمت بريطانيا قوتها المهيمنة في تهديد الحكّام والضغط عليهم للموافقة. ولم تخلُ هذه الفترة من خلافات وصراعات داخلية فيما بين الإمارات أو في داخل الإمارة الواحدة، وكان للوجود البريطاني المكثف خلال هذه الفترة دور ملحوظ في التدخُّل في هذه الخلافات الداخلية بطريقة أو بأخرى حفاظاً على مصالحها الاستراتيجية في المنطقة، كما شهدت استعراضات للقوة البريطانية كل مدة تحت ذريعة القضاء على تجارة الأسلحة أو تجارة الرقيق وما شابهها من الذرائع.

عبد العزيز الثعالبي

أمّا من الناحية الاقتصادية فقد كانت الإمارات العربية تعتمد على نشاط اقتصادي واحد هو موسم الغوص وما يدره من عوائد كبيرة، وكان له دور في تنشيط الحركة التجارية بالمنطقة استيراداً وتصديراً، فقد بلغ الطلب العالمي على اللؤلؤ الخليجي غايته سنة 1925م حتى بلغ دخل الساحل المتصالح وحده من صادرات اللؤلؤ تلك السنة عشرة ملايين روبية

مراسل الجريدة الخاص بدبي في ذلك الحين هو الأديب أحمد بن سلطان بن سليم وقام بتغطية تفاصيل زيارة الثعالبي وخصوصاً الحفلة التي أقامتها المدرسة الأحمدية لهذا الضيف

هندية، ولكن ظهر في آخر العشرينيات اللؤلؤ الياباني المستزرع كمنافس للؤلؤ الخليجي الطبيعي؛ فأدى إلى انهيار سعر اللؤلؤ في الأسواق العالمية مع تزامن ذلك مع أزمة اقتصادية عالمية خلال 1929-1931م، ما أصاب منطقة الخليج بنكسة اقتصادية كبيرة؛ فتدهور المستوى المعيشي للسكان، ولكن شاء الله ألا يطول أمد هذا التدهور، حيث تدفّق النفط في المنطقة وأعاد للاقتصاد ازدهاره. مع العلم أنَّ حكام الساحل المتصالح قد وقّعوا تعهدات بعدم منح امتيازات التنقيب عن المعادن في أراضيهم إلا لبريطانيا سنة 1922م، وذلك قبل اتفاقية الخط الأحمر سنة 1928م، بينما نالت شركة تطوير بترول الساحل المتهادن امتياز التنقيب في أبوظبي 1939م.

ومن المعلومات التي أشارت إليها جريدة الشورى في تلك الفترة مما له علاقة بإمارة دبي إشارتها في العدد 54 إلى استقلال دبي ومقاومة حاكمها لإنشاء قنصلية بريطانية ومركزاً للبرق في دبي، وإشارتها في العدد 60 والعدد 63 إلى تضامن إمارة أبوظبي وإمارة دبي مع عمان وتشكيلهم حلفاً عسكرياً في عام 1925م في ظل الترويج لشائعة اتفاق ثلاثي بين الإنجليز وسلطان مسقط وابن سعود على حرب عمان، وظهور الدعوة إلى الوحدة العمانية التي عبّر عنها الشاعر أحمد بن سلطان آل سليم بقوله:

ليس الشمال ومسقط
وصحار فيما دوّنا
إلا أديماً واحداً
مهما تعددت الكنى

وكذلك إشارتها إلى بعض الاضطرابات الأمنية داخل الإمارات ودور الشيخ سعيد بن مكتوم في توطيد الأمن مثل خبر اعتداء بعض المعتدين من إحدى القبائل على إبل لبني ياس 1925م والمنشور في العدد 61، حيث سيّر حاكم دبي قوة بقيادة أخيه حشر بن مكتوم لمطاردة أولئك المعتدين رغم استرجاع الإبل. كما نجد إشارة في العدد 234 إلى تفاصيل بعض الشؤون الداخلية في دبي عام 1929م، وجاء في العدد 293 والعدد 298 تكذيب لبعض الإرجاف الذي نشرته إحدى الصحف الإيرانية حول اعتداء الإنجليز على دبي.

توثيق زيارات الزعماء والأعيان

ومن هذه الزيارات التي جرى توثيقها على صفحات جريدة الشورى زيارة الزعيم التونسي عبدالعزيز الثعالبي؛ حيث قامت جريدة الشورى في عددها رقم 38 بتاريخ 16 يوليو 1925م بتغطية زيارته إلى دبي التي قدم إليها من الهند عن طريق مسقط في يونيو عام 1925م؛

إذ وصفت استقبال ولي عهد دبي له مع حاشيته في زورق خاص ترفرف عليه راية إمارة دبي ونزول الثعالبي في ضيافته في قصره الفخم، ثمَّ تصف زيارته للمدرسة الأحمدية والحفل الذي أقيم فيها احتفاءً بالضيف، وما تخللها من خطب وكلمات ومناشط، وكان لهذه الزيارة أثر في التعريف بالإمارات العربية في الصحافة الأخرى؛ إذ أجريت مقابلات صحافية مع الثعالبي في بعض الصحف العربية تحدَّث فيها عن مشاهداته ونشرت إحداها جريدة الشورى في العدد 81 بتاريخ 21 مايو عام 1926م.

ومن هذه الزيارات أيضاً زيارة والي صحار السيد حمد بن فيصل البوسعيدي؛ إذ نشرت الشورى في العدد 114 بتاريخ 13 يناير 1927م خبراً عن قدوم أخي السلطان تيمور بن فيصل بن تركي البوسعيدي السيد حمد بن فيصل الذي كان والياً على صحار برفقة 170 من حاشيته وجنده إلى دبي يوم الخميس 19 جمادى الأولى عام 1345هـ، حيث قوبل بالحفاوة والترحيب، وكان في استقباله حاكم دبي الشيخ سعيد بن مكتوم، والشيخ مانع بن راشد ولفيف من الشيوخ والأعيان، وأقيم له في اليوم الثالث لقدومه حفلاً في المدرسة الأحمدية، بينما استغرقت زيارته سبعة أيام، وقد حيّاه الشاعر أحمد بن سلطان آل سليم بقصيدة مطلعها:

تيهاً (دبي) ألا امرحي
طرباً لقد نلتِ المنى

وقد قام سكرتير والي صحار الخاص بعد نشر خبر الزيارة بأكثر من ثلاثة أشهر بالتعقيب عليه مؤكداً امتياز (دبي) عن البلدان المجاورة لها بكثرة تجارتها موضحاً أهداف زيارة والي صحار لها.

ورد في الصحيفة سنة 1925 في تعريف دبي: «دبي: بلدة من بلاد ساحل عمان.. وهي اليوم أرقى تلك البلدان عمراناً وحضارة وقوة مادة ومعنى والذي يسر كل عربي بل كل شرقي على الإطلاق تمسك أهل البلاد بعروبتهم..»

ومن هذه الزيارات زيارة مؤسس مدارس الفلاح محمد علي زينل، فقد نشرت الشورى في العدد 207 بتاريخ 26 ديسمبر عام 1928م تفاصيل زيارة هذا المحسن الحجازي الكبير وتاجر اللؤلؤ الشهير الذي قدم إلى دبي من البحرين في صبيحة يوم الخميس 18 جمادى الأولى 1347هـ، وكان في استقباله الشيخ جمعة بن مكتوم والشيخ مانع بن راشد وكثير من وجهاء دبي وأعيانها ليحل ضيفاً ذلك اليوم في ضيافة محمد بن أحمد بن دلموك، وفي صبيحة يوم السبت زار مدرسة السعادة، حيث تمَّ الاحتفال به فيها وألقيت الخطب والكلمات، ليدعوه في اليوم الرابع حاكم الشارقة الشيخ سلطان بن صقر القاسمي فلبّى دعوته، ثم قفل راجعاً إلى دبي، وفي يوم الثلاثاء 30 جمادى الأولى أقامت له مدرسة الفلاح التي أسّسها في دبي حفلة شائقة حضرها حاكم دبي الشيخ سعيد بن مكتوم وجمع غفير من طلبة المدارس ومن أهالي دبي، ليغادر دبي يوم الخميس 2 جمادى الآخرة على الباخرة برودا إلى بومباي في الهند.

تأريخ الحركة الثقافية

نجد في ثنايا الأخبار التي نشرتها جريدة الشورى خلال الفترة (1925-1931م) إشارات مفيدة للباحثين في نشأة الحركة العلمية ودلالات على الوضع الثقافي العام في هذه الإمارة وبواكير النهضة الأدبية فيها آنذاك، ومن ذلك الإشارة في العدد 38 إلى تأسيس وإنشاء الشيخ محمد بن أحمد بن دلموك للمدرسة الأحمدية التي زارها الثعالبي سنة 1925م، كما نجد إشارة في العدد 38 والعدد 127 إلى دور للشيخ مانع بن راشد في النهضة العلمية في دبي عموماً وفي تأسيس هذه المدرسة خصوصاً، ثمَّ نجد أنَّ الجريدة نشرت في العدد 118 بتاريخ 10 فبراير عام 1927م مقالة تحت عنوان (حركة علمية جديدة في دبي) وتحدثت عن انتباه الناس إلى أهمية العلم وأنه سبب النهضة والتقدم، وتذكر من البوادر قيام مدرسة علمية في دبي كانت في أول أمرها مقصورة على دروس الفقه واللغة العربية والوعظ الذي يقوم به عالم من أهل الأحساء، وأنَّ القائمين عليها حولوها إلى مدرسة تشبه المدارس العصرية وجلبوا لها معلمين من الخارج رغم وجود بعض معارضي هذه الفكرة ممن يتعصبون للجمود، ولعلَّ المقصود (المدرسة الأحمدية)، في حين تشير المقالة إلى تأسيس مدرسة أخرى في دبي غير هذه المدرسة في ذلك العام، ولعلَّ المقصود بهذه المدرسة الأخرى (مدرسة السعادة)، التي سعى لتأسيسها التاجر محمد البدور والحاج يوسف السركال ومحمد عبدالله اليماني كما في العدد 207 بتاريخ 26 ديسمبر 1928م، ويبدو أنَّ تأسيس مدرسة السعادة يتقارب تاريخياً مع تأسيس (مدرسة الفلاح) في دبي على يد تاجر اللؤلؤ الحجازي الشهير محمد علي زينل خلال عام 1928م، ولكن لم يظهر لنا من خلال جريدة الشورى أيهما الأسبق، ويمكن أن نقول إنَّ هذه المدارس الثلاث هي نواة التعليم النظامي العصري في إمارة دبي.

وأمّا في النواحي الثقافية الأخرى، فيظهر أنَّ للصحافة العربية، بشكل عام في دبي، متابعين وقرّاء من طبقة المتعلمين، ومن مظاهر ذلك وجود مراسل للشورى في دبي في وقت مبكر؛ ألا وهو الأديب أحمد بن سلطان آل سليم، كما أننا نجد على صفحات الشورى بعض المراسلات والموضوعات الأخرى المرسلة من أفراد آخرين يقيمون في دبي مثل عبدالله الصانع في العدد 50 والعدد 80 والسيد أحمد بن محمد المحضار في العدد 118 وغيرهما ممن لم يصرح بأسمائهم في أعداد أخرى، وهي في أغلبها تناقش الأوضاع السياسية في المنطقة بشكل عام وفي دبي بشكل خاص، وربما أدّى هذا الاهتمام بالصحافة والوعي بدورها من قبل مثقفي دبي في تلك الفترة إلى خوف البريطانيين من تأثيرها السياسي في الناس، حيث نجد في العدد 133 من الشورى خبراً حول منع جميع الجرائد في دبي ومصادرتها في

تشير الصحيفة إلى دور الشيخ سعيد بن مكتوم في توطيد الأمن مثل خبر اعتداء بعض المعتدين من إحدى القبائل على إبل لبني ياس سنة 1925م حيث سيّر حاكم دبي قوة بقيادة أخيه حشر بن مكتوم لمطاردة أولئك المعتدين

البريد سواء كانت مصرية أو سورية أو عراقية أو مكية، إلا أنَّ الشورى عادت في العدد 136 إلى نفي صحة هذا الخبر بناء على ما كتب إليها من بومباي، إلا أننا نجد الجريدة بعد عامين وتحديداً في العدد 310 بتاريخ 28 يناير 1931م تؤكد ذلك المنع للجرائد من دخول دبي وإلغاءه بعد ذلك، في حين أشارت إلى خشيتها من عودة هذا المنع للصحف؛ لأنه لوحظ أنَّ هناك مصادرة لكل مكتوب يصدر من دبي إلى الصحف، لتعود في العدد 319 وتنشر إفادة من مراسلها في بندر عباس بأنه لم يكن هناك منع على دخول الجرائد إلى دبي في أي وقت وإنما حصل تضييق لم يطل على الكتب الصادرة إلى الصحف.

كما أننا نجد على صفحات الشورى توثيقاً لبعض نتاج أدباء دبي في تلك الفترة، حيث كانوا يبثون عواطفهم ويعبرون عن مشاعرهم نثراً وشعراً وينشرونها في الصحافة العربية مثل ما كتبه عبدالله بن علي الصانع عن المجاهدين في الريف المغربي بقيادة عبدالكريم الخطابي في العدد 50، أو ما كتبه عن نكبة دمشق في العدد 80، أو اقتراح أحدهم التزام الصحف بالتاريخ الهجري العربي بدلاً من التاريخ الإفرنجي في العدد 83، أو قصيدة الشاعر أحمد بن سلطان بن سليم في سليمان الباروني باشا التي نشرت في العدد 103 ومطلعها:

هنّت عمان بما حازته بلدان
إذ أحرزت بك فتحاً يا سليمان

أو قصيدته الأخرى في السيد حمد بن فيصل البوسعيدي في العدد 114

والتي أشرنا إلى مطلعها سابقاً، أو قصيدة الشاعر سالم العويس عن سوريا في العدد 133 التي مطلعها:

الليل يشهد والنهار
أن الشآم قرى الفخار
أبدوا بنو سورية
عزماً يشابه ذي الفقار

ونجد كذلك رصداً لرحلات مثقفي دبي إلى الخارج. ولا شك في أنَّ لهذه الرحلات أثرها في توثيق علاقاتهم وتوسيع مداركهم واكتسابهم المعارف واحتكاكهم بالثقافات الأخرى ومن ذلك رحلة أحمد بن سلطان بن سليم إلى بومباي سنة 1927م ومروره بعد عودته بمسقط وزيارته سمائل لمقابلة سليمان باشا الباروني، ثم رحلته من دبي إلى البحرين في العام نفسه، وكذلك نشرت الشورى خبراً عن رحلة الشيخ مانع بن راشد إلى بومباي في عام 1927م.

بقي أن نقول: إنَّ الباحث في تاريخ الخليج عموماً وفي تاريخ الإمارات خصوصاً سيجد في المواد الصحافية المنشورة في الشورى ما يساعده على سدّ بعض الثغرات أو تحليل بعض الحوادث أو الاستدلال على بعض الأحوال أو فتح آفاق لأبحاث ودراسات مفيدة، فهي أشبه ما تكون بسجل تاريخي لحظي يتضمن أخباراً وإشارات ومواقف ولمحات عن بعض الأمور الجارية خلال الفترة من (1925-1931م).

***باحث سعودي**

«الرولـــة»
بين المجلة والجريدة وتاريخ الريادة في الصحافة المسرحية

عبدالإله عبدالقادر

مع توقُّف العديد من المجلات العربية المتخصصة في المسرح، لا بد من ذكر تجربة مجلة الرولة المسرحية التي كان يصدرها مسرح الشارقة الوطني إبَّان الثمانينيات من القرن الماضي.

كانت بغداد وتونس ودمشق والقاهرة تصدر مجموعة من المجلات المتخصصة بالمسرح في أعوام الثمانينيات من القرن الماضي، وكان يشرف عليها عدد كبير من المحررين والمشرفين، وتحتضن عدداً آخر من الباحثين والكتَّاب، إلا أنَّ الزملاء في مسرح الشارقة الوطني كانوا يحلمون بمنافسة هذه العواصم رغم محدودية العنصرين البشري والمادي، وعليه بدأت الاستعدادات لإصدار المجلة عبر اجتماعات متعددة لعدد من أعضاء المسرح، أذكر منهم حينذاك سعاد جواد، عبد الله المناعي، حسن شريف، إبراهيم جلال، محمد عبد الله، عبد اللطيف القرقاوي، محمد يوسف، سيف الغانم، عبد الواحد الإمبابي، منى حمزة، وعايدة حمزة وغيرهم. واتفق المجتمعون على أن تصدر في بدايتها المتواضعة مطبوعة على ورق الرونيو، ويصدر العدد الأول في يوليو عام 1979، ثمَّ أعقبه الثاني وعلى «الرونيو» أيضاً.

واحتار المجتمعون على تسمية هذا الوليد، إلى أن اقترح الراحل محمد عبد الله تسميتها بمجلة الرولة، نسبة إلى الشجرة المعمّرة التي كانت تتوسَّط مدينة الشارقة، والتي كانت مركزاً للأفراح والتجمُّع في الأعياد والمناسبات، ولأنها كانت قد سقطت حديثاً بشكل تراجيدي إثر مرور شارع العروبة واضطرار المهندس في إسقاطها بالبلدوزر وإحراقها لكبر حجمها؛ فهجم عليه أهل الشارقة لينتقموا منه لتعديه على واحدة من رموز الشارقة التراثية كان مكانها في المريجة قرب الحصن شارع البنوك حالياً، ما إن احترقت شجرة الرولة حتى هجم أهل الشارقة للانتقام من المتسببين في سقوطها وإحراقها، إلا أنَّ أهل الخير اقترحوا أن يتمَّ تصنيع نصب يحتفظ بداخله السيقان المتبقية من الشجرة، وتتحول إلى ساحة وحديقة واسعة سمِّيت باسمها وما زالت، وعليه اتفق المجتمعون على تسمية المجلة بالرولة اعتزازاً بالشجرة.

مرحلة التأسيس عام 1979 إلى 1980 وصدر منها على «الرونيو» عددان، وقد قرَّر مسرح الشارقة إصدار العدد الثالث مطبوعاً بدخول المغفور له الشيخ أحمد بن محمد القاسمي رئيساً فخرياً لمسرح الشارقة الوطني وقد تشكَّلت إدارة المجلة من:

- المغفور له الشيخ أحمد بن محمد القاسمي رئيساً للتحرير
- المغفور له عبد الواحد الإمبابي مديراً للتحرير
- المغفور له محمد عبد الله سكرتيراً للتحرير

وشكلت هيئة التحرير من ماجد بو شليبي، ومحمد يوسف، وسيف الغانم، وعبد الله المناعي، وسعاد جواد.

صدر عدد المجلة الأول عام 1979م وأخذت تسميتها نسبة إلى الشجرة المعمرة التي كانت تتوسط مدينة الشارقة وكانت مركزاً للأفراح والتجمُّع في الأعياد

وكان العدد يشكِّل قفزة نوعية بالنسبة للعددين السابقين من خلال المواضيع والطباعة والإخراج، ولكن توقفت التجربة أيضاً بصدور العدد الثالث ودخول الطباعة الفنية، وكان قد صدر عام 1980، إلا أنَّ التجربة الحديثة عانت من المبالغة في زيادة الكلفة المادية التي لم تتحملها ميزانية المسرح. في عام 1983 دخل عبد الإله عبد القادر كعنصر جديد في مسرح الشارقة الوطني، ومثلت مرحلته مرحلة جديدة في مسيرة المسرح، ولأنَّ الرولة قد توقَّفت حوالي ثلاثة أعوام، لذا فكر الشيخ أحمد القاسمي بإناطة المجلة بالعنصر الجديد الذي فتح أبواباً عدة أمام حركة المسرح، لا في الفرقة وحدها فحسب، بل وبتاريخ مسرح الإمارات، وهذا ما يقوله جميع المسرحيين في تلك الفترة.

قبلت دعوة الشيخ أحمد القاسمي، وقمت باختيار المجموعة التي ستتعاون معي، وأصبحت هذه التجربة هي المرحلة الثالثة والأخيرة في حياة الرولة، ومع بقاء كل من الشيخ أحمد القاسمي رئيساً للتحرير، وعبد الواحد الإمبابي مديراً، فقد أنيطت سكرتارية التحرير بي «عبد الإله عبد القادر» وهيئة التحرير ماجد بوشليبي، ود. محمد يوسف، وخولني الشيخ أحمد- رحمه الله- بصلاحيات كاملة لإصدارها دون الرجوع حتى إلى مدير التحرير، وكانت تجربة غنية جداً، وكنت قد اخترت صديقي الفنان محمد فهمي مشرفاً فنيّاً على المجلة، وقمت بتبويب المجلة بأبواب تعتمد على معرفتي الدقيقة بفن المسرح وأدبه، والدراسات التي يمكن أن تحتويها المجلة، واستفدت بشكل ملموس وسريع من أصدقائي الفنانين العرب في مصر وسوريا والعراق، وكذلك الزملاء في دولة الإمارات، الذين سرعان ما جهزوا لي موادَّ متميزة بتميزهم، وكانوا فعلاً أعلاماً في المسرح ومازالوا حتى بعد رحيلهم، وحاولت مع زميلي محمد فهمي أن نجعلها تضاهي المجلات العربية المشهورة، وأن ننافسها بالشكل والصورة واللون والمادة والتنوع، بل وكان أحد أبوابها نشر مسرحية كاملة، وأعددنا ملفات متخصصة لكل عدد، وكلفت مجموعة من المسرحيين بكتابتها، وبالتالي استطاعت مجلة الرولة بمرحلتها الثالثة كسب دهشة معظم المسرحيين العرب؛ فدخلت مناهج أكاديميات ومعاهد المسرح المتخصصة، مثلما وُزِّعَت تقريباً في كل البلدان العربية حتى وقعت في يد الفنان دريد لحام، لوضعها في خلفية أحد أفلامه إعجاباً بها، و«الرولة» غطت جميع المهرجانات المسرحية التي نظمت في تلك الفترة، وكنا نرسل مندوبين عن المجلة لهذه المهرجانات لتغطيتها؛ مثل مهرجان بغداد المسرحي، ودمشق، وقرطاج والقاهرة، كما أجرت المجلة حوارات مهمة جدّاً مع العديد من المسرحيين العرب والإماراتيين، بل عقدت مؤتمراً متخصصاً عن المسرح في الإمارات.

استمرت المجلة في تطورها ومكانتها عند المسرحيين العرب رافعة راية الإمارات، وسفيرة للكلمة والمسرح والثقافة، وصدر منها خمسة أعداد، ثمَّ توقفت فجأة وهي في قمة مرحلتها الذهبية لأسباب مادية، بعد توقُّف مسرح الشارقة عن تمويلها، على الرغم من انخفاض التكلفة الإجمالية لطباعتها وإصدارها.

لا شكَّ أنَّ العمل في مثل هذه التجربة الرائدة ممتع، إلا أنَّ الأكثر متعة حينما يتحوَّل أيضاً إلى مغامرة محسوبة النجاح، فتحمل في طياتها التحدّي، وهنا لا بدَّ أن نذكر جريدة الرولة المسرحية التي كانت لسان الدورة الثانية لأيام الشارقة المسرحية يوم قررنا، في مسرح الشارقة الوطني، إصدار جريدة مسرحية يومية طيلة أيام المهرجان، وهي بادرة لم يكن أحد يجازف بتحملها.

أولاً: اتفقنا مع مدير مطبعة بن دسمال السيد حسان دكروب بأن يفتح أبواب المطبعة في الحادية

استمرت المجلة في تطورها ومكانتها عند المسرحيين العرب رافعة راية الإمارات وسفيرة للكلمة والمسرح والثقافة وصدر منها 5 أعداد ثمَّ توقَّفت فجأة

عشرة ليلاً، على أن يكلف أحد العمال بالقيام بصف المادة التي ستكون محور الجريدة اليومية، ووافق حسان دكروب، وكانت المطبعة في مكانها القديم مقابل قيادة شرطة دبي، وتمَّ اختيار الأشخاص المسؤولين عن إصدارها، كما تمَّ وضع الخطة الخاصة بإصدارها.

كان الشيخ أحمد القاسمي يبارك هذه المبادرة، ويشجعنا بروحه المتفائلة وثقته التي يمنحها لنا، وكان فريق العمل يتشكَّل مني (عبد الإله عبد القادر) كمسؤول رئيس، والمرحوم محمد عبد الله للتصحيح اللغوي، أما القضايا اللوجستية فقد كلف بها د. محمد يوسف، وماجد بوشليبي، وكلف سيف الغانم بتصوير المهرجان، وهي مهمة كانت صعبة إلا أن أبو (غنوم) نجح فيها.

كانت الخطة كالتالي: نغادر أنا ومحمد عبد الله المهرجان الساعة الحادية عشرة مساءً إلى المطبعة، لدينا بعض المواد القليلة جدّاً، ثمَّ أجلس بالمطبعة وأكتب مادة الجريدة بشكل كامل وأعطيها تباعاً إلى الصفيف الذي يكمل صف المادة ويسلمها إلى محمد عبدالله ليصححها لغوياً، ويعيدها للصفيف الذي يقوم بالتصحيح ويصدر الصورة النهائية للمواضيع، وكان هذا العمل يمتد حتى الخامسة صباحاً، حيث نعود إلى بيوتنا في الشارقة، بعد أن يطبعها على ورق خاص يسمى بوقتها «بروماید» وكانت هذه الطريقة هي الأحدث في الطباعة، وبداية دخول الحاسوب للطباعة، وصف الحروف، ورق «البروماید» مطبوعاً عليه المادة بالكامل، ونسلمها إلى محمد فهمي في الساعة الثامنة صباحاً، حيث يقوم بإخراجها وإلصاقها بالشمع على «الماكيت» الذي أعد مسبقاً للجريدة،

جريدة الرولة المسرحية التي كانت لسان الدورة الثانية لأيام الشارقة المسرحية كانت جريدة مسرحية يومية طيلة أيام المهرجان في بادرة لم يكن أحد يجازف بتحمُّلها

ويكون سيف الغانم قد استكمل إظهار الصور ليسلمها أيضاً إلى محمد فهمي الذي ينتهي عمله في الساعة العاشرة أو الحادية عشرة قبل الظهر، ويحمل «الماكيت» إلى المطبعة، حيث يسلمها إلى أحد العاملين واسمه غسان على ما أذكر ويقوم بالمونتاج وإعداد الألواح الخاصة بالطباعة، على أن تنتهي الطباعة الساعة الخامسة مساءً، حيث ترسل الجريدة مطبوعة إلى قاعة أفريقيا، المكان الوحيد للمهرجان، وتوزع على المسرحيين والمشاهدين.

كانت تجربة لذيذة ومغامرة محسوبة وناجحة، وبذلك استطعنا بهذا الفريق قليل العدد، أن يسجل لنفسه ريادة في أيام الشارقة المسرحية وفي الصحافة الفنية، وحتى الآن لم يستطع أحد أن يتجاوز هذه التجربة الرائدة في الصحافة والمسرحية، وهي باعتقادي تجربة لعشَّاق المسرح والأدب المسرحي.

تلك بعض الشذرات لتلك الأيام الجميلة من النشاط الذي لم يرتبط وقتها بالماديات، بل تعدى ذلك إلى المبادرة التي ترتبط بالتحدي، وبتقديم الخدمة لوطن جميل اسمه الإمارات ومسرحها الذي أعتز بأنني كنت ولا أزال أحد الراكبين في لوائه وتجلياته حتى اليوم.

الطواش.. تاجر اللؤلؤ

أُسْأَلُ كثيراً عن معنى «الطَّوّاش» بفتح الطاء وتشديد الواو وعن حرفته التي تسمّى «الطُّواشة» بضم الطاء، والطواش في لهجتنا هو التاجر الذي يبيع اللؤلؤ خاصة فلا يطلق هذا اللقب على غير هذا العمل كما هو متعارف عليه في جميع دول الخليج العربي، وقد أخذها الحفَدة عن أجدادهم ولم يسألوا عن معناها ولا أصل اشتقاقها.

ولهذا إذا سألتهم عن أصلها لا يستطيعون أن يخبروك بشيء غير أنها متوارثة من قديم الزمن، ولا لوم عليهم فأكثرهم لا يعرف القراءة والكتابة فكيف سيسألون عن اشتقاق مفردة تُعدُّ أشهر من نارٍ على علَمٍ (جبل) في أوانها مثل «الطوّاش» الذي كان أهل البحر ينتظرونه ليشتري منهم ما غنموه من غوصهم في أعماق بحر الخليج.

قلتُ: تشيع في زمنٍ من الأزمان مفرداتٌ ومصطلحاتٌ وأمثالٌ، ثمَّ تبقى بعد فترة انتشارها معروفة ومفهومة عند أهلها، ولكن بسبب بعد العهد بها لا يُدرى من هو مخترعها أو الناطق بها أول مرة؛ لأنّ المصطلح أو المفردة التي لم تكن موجودة من قبل لا بدَّ أن ينطق بها شخص واحد، ثمَّ تنتشر بعد ذلك أو يتم الاتفاق عليها من قبل دواوين الخلفاء والسلاطين أو أهل الحرف والتجارة والعلوم، ثمَّ تصبح مشهورة من بعدهم، وهكذا تزيد المفردات والمصطلحات بين الناس في أي لغة من لغات العالم.

من هذه المفردات الغريبة التي لا توجد في المعاجم القديمة كلمة «طوّاش» وتجمع على «طواويش»، والفعل منها «يطوش» وتعني تاجر اللؤلؤ، وقد بحثت طويلاً عن أصل اشتقاقها ورأيت أن تكون هذه المفردة مشتقة من الآتي:

أولاً: مادة «وطش»:

الوطش هو العطاء القليل، فحصل فيها قلب بين الواو والطاء والعرب تقلب الحروف كثيراً فيقولون مثلاً جبذ وجذب، ومنها مفردة وطش صارت طوش وللتكثير قالوا "طوّاش"؛ لأنَّ الطواش تاجر اللؤلؤ يعطي قليلاً في الشراء ليبيعها بسعر مرتفع فسمّاه العرب طوّاشاً، ثم سمّوا حرفته الطواشة، وهذا الاشتقاق أقربها لقلبي وقد يكون الصواب.

ثانياً: مادة «طوش»:

الطوش خفة العقل والمطل في الدين والتسويف كما تقول المعاجم القديمة، وقد يكون لكثرة تنقلاته في البحر للبحث عن اللآلئ النادرة كأنه خفيف العقل، وكذلك مطل تاجر اللؤلؤ وعدم سداده أهل اللؤلؤ أموالهم بعد الشراء هو السبب في تسميته بهذا اللقب، ولكن قد يعترض معترض ويقول: وهل يكون التاجر

خفيفَ عقلٍ؟!

فلو كان لما أصبح تاجراً! وهذا الاعتراض يسقط المعنى الأول لهذه المفردة، أمَّا عدم الدفع والمطل فهذا لم يكن معروفاً في عصور بيع اللؤلؤ؛ فقد كان «الطوّاش» حاضر المال ليشتري وينافس غيره من «الطواويش» التجار، وهذا يضعف المعنى الثاني بل يلغيه أيضاً.

ثالثاً: كلمة «الطواشي»:

الطواشي مفردة تركية تعني الخادم الخصي، وهو لقبٌ شاع في زمن الأتراك، والمماليك في مصر يطلقونه على خدمهم المقربين. وكان هؤلاء الطواشية يتولون كثيراً من المهام الخاصة للملوك والأمراء وقد يصلون إلى درجة الإمارة، ومن أشهرهم الطواشي قراقوش المشهور الذي كان يعمل في خدمة الفاتح صلاح الدين الأيوبي.

وهؤلاء كانوا يتحكّمون في أموال السلاطين، ويدخلون عليهم القصور، كما كانوا مقربين من نساء القصر، ولهذا كانت لهم حظوة وأموال، وربما انتقل هذا اللقب إلى هذه المنطقة بسبب حضور هؤلاء إلى الخليج العربي في عهد المماليك لشراء اللؤلؤ للأميرات، ثمَّ لمَّا انقطعوا وانتهت الطواشية في مصر وغيرها من المدن، صار اللقب لصيقاً بكل من يعمل في تجارة اللؤلؤ، يقول ابن خلدون شارحاً هذا البيت:

دار ابن لقمانٍ على حالها
والقيدُ باقٍ والطواشي صبيح

«الطَّواشي في لغة أهل المشرق هو الخصيُّ، ويسمّونه الخادم أيضاً».

قلتُ: لا أتمنّى أن يكون الاشتقاق الأخير هو الصواب؛ لأنه مشتق من لغة غير عربية وله معنى قبيح وهناك اشتقاقات أخرى يذكرونها ولم أجد فيها معنى صحيحاً، هذا والله أعلم.

من سنابات جمال بن حويرب
Jamalbnhuwaireb

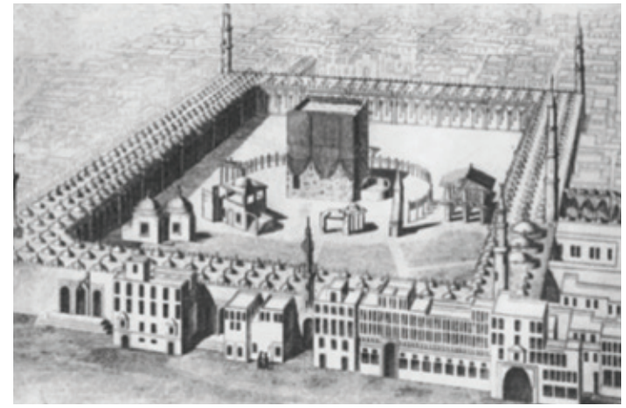

الحج والحجاز في كتب الرحالة

محمد بابا

التراث الإسلامي زاخر بكنوز الرحلات المنسية والمحققة، ومن هذا التراث ما يتعلَّق بوصف فريضة راكزة في الوجدان الإسلامي، ألا وهي فريضة الحج، الذي أفرد له الرحالة، الغربيون والمسلمون على حد سواء، مكانة كبيرة في مؤلفاتهم، سواء تعلَّق الأمر بوصف الطريق أو العمران في الحجاز، أو التوغُّل في المشعر الحرام، لنقل صورة مقربة عن هذه المناسك.

تحفة النظار

من الكتب المشهورة كتاب "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" لصاحبه ابن بطوطة، (توفي سنة 1377م)، والذي بدأ رحلته الحجازية من دمشق، ووصف الطريق وارتحالهم عبر بصرى إلى تبوك، ومن بعدها إلى طيبة، مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، مقدماً معلومات عن محطات الرحلة وعادات ركاب الحج من الشام، كما وصف طيبة وحرمها الشريف، وتفصيلات دقيقة لمسجد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الذي قال عنه: "إنه مستطيل، وتحفه في جهاته الأربع بلاطات دائرة به، ووسطه صحن مفروش بالرمل، كما يدور بالمسجد الشريف شارع مبلط بالحجر المنحوت، والروضة المقدسة صلوات الله وسلامه على ساكنها، في الجهة القبلية مما يلي الشرق من المسجد الكريم، وشكلها عجيب لا يتأتى تمثيله، وهي منورة بالرخام البديع النحت الرائق النعت". كما وصف مكة المكرمة فقال: "مدينة كبيرة متصلة البنيان، في بطن وادٍ تحفُّ به الجبال، فلا يراها قاصدها حتى يصل إليها..".

وقال عن المسجد الحرام: "في وسط البلد متسع الساحة طوله من شرق إلى غرب أزيد من أربعمائة ذراع، والكعبة العظمى في وسطه.."، كما ذكر الحجر الأسود والمقام الكريم والطواف وزمزم، وأبواب المسجد وما دار به من المشاهد، وأتى على ذكر علماء الحجاز وأهلها وفضائلهم، وروى مجموعة من الحكايات في سياقات مختلفة تعطي تفاصيل عن الحج وعاداته، فقال: "إذا كان في أول يوم شهر ذي الحجة تضرب الطبول والدبادب في أوقات الصلوات بكرة وعشية، إشعارها بالموسم المبارك، ولا تزال كذلك إلى يوم الصعود إلى عرفات..".

وذكر كسوة الكعبة التي بعثت في يوم النحر من الركب المصري إلى البيت الكريم، ووصف كيفية إسبالها على الكعبة الشريفة.

رحلة العياشي

ومن الكنوز التراثية رحلة أبي سالم بن أبي بكر العياشي (القرن 11هـ/17م) والتي عرفت في الحقول العلمية بـ"تعداد المنازل الحجازية"، و"التعريف والإيجاز ببعض ما تدعو الضرورة إليه في طريق الحجاز"، و"رحلة العياشي الصغرى"، وهي في الأصل رسالة بعث بها مؤلفها إلى أحد أصحابه من علماء فاس، ممن أخذوا عنه وأجازهم، وفيها توصيف لركب الحج السجلماسي، ضمن رحلات الحج المغربية، وقد لخَّص العالم والرحالة أبو سالم العياشي في رحلته الصغرى لعام 1068هـ/1657م المراحل والمنازل في الطريق إلى الحجاز، وهذه الرسالة مؤرخة بتاريخ 28 ربيع الأول عام 1068هـ/ الموافق 3 يناير 1658م، وقدَّم فيها لصاحبه نصائح تهمُّ المسافر في طريقه إلى الحج، وأسماء الحواضر العلمية والعلماء في طريقه من سجلماسة إلى الحجاز، وما يجب أن يتزود به لنفسه ولرفقته وللدواب من علف، وأتى على ذكر الأسواق في الطريق واختلاف البضائع من مكان إلى آخر، والاحتياط في مواقيت السفر من مكان إلى آخر، لإدراك الحج.

ابن بطوطة (توفي سنة 1377م) بدأ رحلته الحجازية من دمشق وقد وصف طيبة وحرمها الشريف وقدَّم تفصيلات دقيقة للكعبة المشرفة

المحمل المصري

ومن الكتابات المشهورة عن الرحلات الحجازية مؤلفات محمد صادق باشا (1822 – 1902م)، التي تتضمَّن روايته لرحلات الحج مرافقاً للمحمل المصري، وهي المؤلفات التي تصف الرحلة الحجازية، والتي نشرت تحت العناوين التالية: "نبذة في استكشاف طريق الأرض الحجازية من الوجه وينبع البحر إلى المدينة النبوية"، وطبع في القاهرة سنة 1294هـ (1877م)، و"مشعل المحمل" وطبع أيضاً في القاهرة سنة 1298هـ 1881م، و«دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج»، المطبوع في مطبعة بولاق بالقاهرة سنة 1896م.

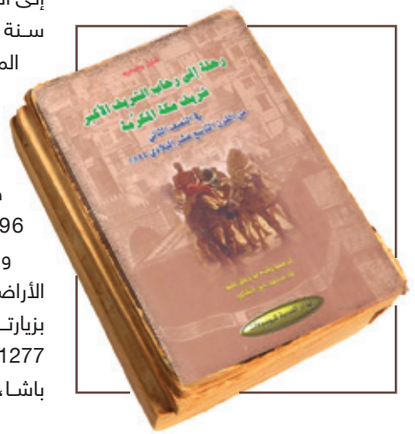

وقد قام محمد صادق بزيارة الأراضي الحجازية مرات عدة، استهلها بزيارته الأولى للمدينة وكانت عام 1277هـ (1860م) بمعية الوالي سعيد باشا، أتبعها بزيارة ثانية للمدينة أيضاً عام 1861م، وسجلها في كتابه "نبذة في استكشاف طريق الأرض الحجازية"، والثالثة والرابعة عامي 1880 و1884م، وكانتا بقصد أداء فريضة الحج، وسجَّل وقائعهما في كتابيه "مشعل المحمل" و"كوكب الحج"، وكانت رحلته الأخيرة في مهمة رسمية بقصد تسليم قمح صدقة مكة المكرمة والمدينة المنورة بجدة عام 1885م، وجاء ذكرها في ذيل كتاب "كوكب الحج".

ويقال إنَّ محمد صادق هو أول من التقط صورة للمسجد النبوي سنة 1861م، حيث كانت معه آلة تصوير، كما صوَّر الحرم المكي الشريف سنة 1880م ومواقع أخرى يتصل سبيلها بالحج، وقد أشار إلى ذلك باحثون منهم وليام فيسي.

كما يوجد الكثير من الكتب الأخرى في وصف الحج والحجاز كرحلة ابن معصوم المدني، أو سلوة الغريب

محمد صادق باشا أول من التقط صورة فوتوغرافية للمسجد النبوي سنة 1861 كما صوَّر الحرم المكي الشريف سنة 1880م

وأسوة الأريب، ورحلة الطالب أحمد بن أطوير الجنة (المتوفى عام 1849م) والمسماة "رحلة المنى والمنة".

انطباعات الرحالة

ومن الرحلات الغربية رحلات شهيرة، كرحلة كارستن نيبور، التي وصف فيها أقاليم شبه الجزيرة العربية، ورحلة الشاعر والأديب الفرنسي، شارل ديديه سنة 1854م، وجمعها في كتابه "رحلة إلى رحاب شريف مكة"، وقد بدأ رحلته من مصر، والتقى شريف مكة عبد المطلب بن غالب في الطائف، ووصف طريق جدة والبحر الأحمر، والأشخاص الذين قابلهم، كما يضم كتابه بعض الانطباعات الشخصية العامة عن الأمكنة والناس، وبعض الملاحظات اليومية الدقيقة التي كان يدونها عن أحوال الحجاز في أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كما التقى العديد من الشخصيات، ويجد القارئ في وصف "ديديه" تحليلاً سلوكياً رائعاً لكل تلك الشخصيات، ويكرر "ديديه" في أكثر من موضع أنَّ رحلته جاءت بالصدفة، وليس لها أي مسوغات سياسية.

كتابات وخلاصات

ومن ضمن الرحالة الذين زاروا الحجاز "تشارلز داوتي" وهو رحالة إنجليزي، حيث انضم إلى قافلة للحج تحت اسم مستعار "خليل"، ووصل إلى مدائن صالح سنة 1876م، واستطاع أن يتجول في المنطقة، مستنسخاً الكتابات والرسوم المنقوشة، وفي الخامس من يوليو سنة 1878م، توجَّه مع قافلة للحجاج إلى الحجاز، ووصل الطائف، ثمَّ توجَّه إلى جدة في أغسطس سنة 1878م، وكتب كتابه "الجزيرة العربية الصحراوية"، وقد رسم فيه صورة

فريدة من نوعها عن المنطقة، وعن البدو وحياتهم، وعن كرمهم وعاداتهم، كما أبرز الكثير من المفارقات في حياتهم.

كما توجد خلاصات كثيرة للرحلات الغربية إلى الحجاز، ومن ذلك كتاب "اكتشاف جزيرة العرب" الذي حاولت فيه الباحثة الفرنسية "جاكلين بيرن" جمع حصيلة خمسة قرون من المغامرة والعلم، لتروي قصصهم الشائقة، وتسجّل ما قدّموه من خدمات في حقل المعرفة البشرية من خلال هذه الرحلات التي تتعدّد أوجه الكتابات في سياقاتها، ويصعب حصرها لكثرتها وتنوعها.

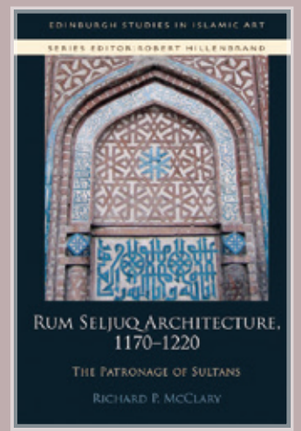

عنوان الكتاب: فن العمارة عند سلاجقة الروم 1170-1220

المؤلـــــف: ريتشارد بي. ماكليري

تاريخ النشر: 1 يناير 2017

دار النشـــر: مطبعة جامعة إدنبرة

يسلط هذا الكتاب، المزود بالصور المتنوعة، الضوء على أهم المعالم الأثرية المتبقية من فترة حكم سلاجقة الروم الأولى، وهي أول سلالة إسلامية كبرى حكمت الأناضول. وتتيح النظرة الشاملة عن تاريخ السلالة السياسي، السياق الضروري لدراسة البيئة العمرانية التي تلتها.

يتناول الكتاب أهم المعالم الأثرية من كافة أنحاء المنطقة، ويحتوي على دراسة مفصلة للقصر والمئذنة والمستشفى، كما يلقي نظرة عامة على البوابات المزخرفة الملحقة بمجموعة واسعة من أنواع المباني المختلفة.

وقد تمَّ عبر الكتاب استخدام دراسات الحالة، لتوضيح الأنماط والعمليات الرئيسة للإنشاءات المعمارية والتنموية التي كانت جارية في ذلك الوقت، وكيف كانت تعبر عن الطيف الأوسع من المجتمع.

كما يستعرض الكتاب أبنية لم يسبق أن نُشر عنها من قبل باللغة الإنجليزية، منها قصر قلج أرسلان الثاني في قونية، ومئذنة مسجد سيفاس الكبير، ومستشفى عز الدين كيكاوس الأول (المجاور لمسجد سيفاس) ومجمع المقابر.

ولا يقتصر الكتاب على مباني مدينة واحدة أو حقبة حاكم واحد، بل إنه يغطي المنطقة بأكملها، ليقدم تاريخًا واضحًا وموجزًا للفترة الممتدة بين 1220-1170. كما يتضمن الكتاب رسومات وصوراً فوتوغرافية العديد منها ملون.

المؤلف في سطور:

ريتشارد ماكليري حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة إدنبرة عام 2015. وقبل ذلك نال درجة الماجستير في الفن الإسلامي والآثار من كلية الدراسات الشرقية والأفريقية في جامعة لندن عام 2011. حاضر الدكتور ماكليري على نطاق واسع حول موضوع العمارة الإسلامية في العصور الوسطى في جميع أنحاء العالم، وأجرى أعمالاً ميدانية في كل من الهند وتركيا وآسيا الوسطى والشرق الأوسط.

صور قديمة نادرة

مخطط للكعبة المشرفة، وتفصيل لأركان البيت الحرام، كما ورد في كتاب أوروبي كلاسيكي طُبِعَ سنة 1750م.

صورة للمسجد الحرام كما وردت في كتاب أوروبي كلاسيكي تعود طباعته إلى سنة 1860.

حجاج على متن سفينة في طريقهم إلى مدينة جدة، كما ظهرت في رسمة في كتاب جيل جرفيه كورتلمون الذي وصف الحجاز ومدنه وأهله وتفاصيل طريق الحج من الجزائر في رحلته التي بدأها سنة 1895م.

قبة المسجد النبوي الشريف في صورة قديمة، وقد مرّ المسجد بتوسُّعات عدّة عبر التاريخ.

صورة قديمة لمسجد قباء، أول مسجد أُسِّس على التقوى، وقد بني هذا المسجد من قِبَل الرسول، صلى عليه وسلم، ويقع في الجهة الجنوبية من المدينة المنورة.

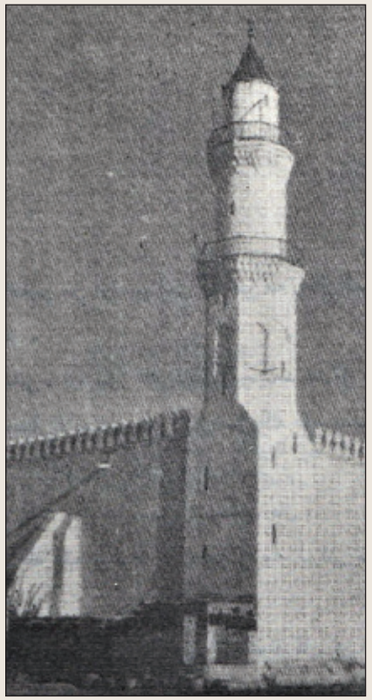

نسائم السادس من أغسطس

علي عبيد الهاملي*

كان صوت محرّك السيارة يعلو ويهبط وهي تشقُّ الطريق الرملي الذي يضيق ويتّسع بين فينةٍ وأخرى، بينما الفتى ذو السنوات العشر يأخذ مكانه وسط مجموعة الرجال الذين جلسوا في صفين متقابلين، يمسك بعضهم بالأنابيب المتعامدة خلف ظهورهم، ويمسك البعض الآخر بالحبال المتدلية فوق رؤوسهم، أمّا هو فقد كانت يده أضعف من أن تمسك بالأنبوب الذي خلفه، وأقصر من أن تصل إلى حبل متدل من سقف السيارة؛ لذلك اتّخذ مكانه في مؤخرة السيارة ممسكاً بالباب الخلفي المغلق بإحكام. كان الزمان أواخر الستينيات من القرن الماضي، وكانت القافلة المكونة من ثلاث سيارات «لاندروفر» ذات دفع رباعي متجهة من دبي إلى أبوظبي، حيث لم تكن الطرق المعبّدة قد عُرِفت بعد بين إمارات الساحل المتصالح، وكانت الرحلة من إمارة إلى أخرى سفراً تُعَدُّ له عدَّته، وتُحْسَبُ له مخاطره؛ فإذا كان الطريق محاذياً للبحر، تحكَّمت حركة المد والجزر في حركة المرور، أمّا إذا كان الطريق ممتدا في الصحراء، كهذا الذي تسلكه قافلة الفتى بين دبي وأبوظبي، فإنَّ أهمَّ شرط هو أن يكون سائق السيارة خبيراً بمسالك الطرق، وحبّذا لو تحرّك المسافرون في قافلةٍ من سياراتٍ عدّة؛ إذ كثيراً ما وردت الأخبار عن سيارات ضلّت طريقها، وانقطعت بركابها السبل في الصحراء دون ماء ولا طعام، فكان مصيرهم الموت والهلاك عطشاً وجوعاً.

ينشغل الفتى الصغير حيناً بصوت محرّك السيارة، فإذا ما أحسَّ بالملل من هذا الصوت الرتيب يمَّم شطر وجوه الجالسين في السيارة، وفي حركة سينمائية كان يركز عدستي عينيه على وجه من الوجوه في لقطات مقربة، عرف فيما بعد أنها تسمّى «الزووم» بلغة التصوير، فإذا بهم مجموعة من الرجال، تتراوح أعمارهم بين العشرين والسبعين، هو الفتى الصغير الوحيد بينهم. ينتهي من استعراض الوجوه، فيبحث عن وسيلة أخرى يكسر بها حاجز الملل الذي يجد طريقه سريعاً إلى نفوس مَنْ هم في مثل سنّه، فيبدأ بالإصغاء إلى الحوار الذي يدور بين رفقاء السفر الذين بدؤوا رحلتهم منذ الصباح الباكر، فإذا به أكثر متعة من صوت السيارة وتأمّل الوجوه، بعضه حديث ذكريات لا يخلو من الطرافة، أمّا أغلبه فيدور حول المعاناة التي كابدوها قبل ظهور النفط، وشظف العيش، والمخاطر التي واجهوها في طلب الرزق، إضافة إلى قسوة المناخ وشحّ المياه وموات الأرض.

تقترب السيارة من منطقة وعرة، فيدعوهم السائق إلى التشبُّث جيداً بأماكنهم، حيث سيضطر إلى زيادة السرعة كي لا تغرز السيارة في الرمل. يسود صمت قصير خلال فترة تجاوز هذه المرحلة من الطريق، وبعد أن يعبرها السائق بمهارة، يعود الحوار الذي انقطع فيقول أحدهم: "السيارة التي تقلّنا نعمة من نعم هذا الزمان؛ فالمسافة التي سنقطعها اليوم بين دبي وأبوظبي في ست ساعات أو سبع كانت تستغرق منّا في الماضي أياماً على ظهور الإبل، أو في بطون السفن". يهدأ صوت محرّك السيارة ويبدأ السائق في التقليل من سرعتها بعد أن يلوح أمامهم "كشك" خشبيٌّ صغيرٌ فيبادر أحد الركاب قائلاً: "ها نحن نقترب من "سيح الشعيب"، وها هو مركز الجوازات أمامنا. سلموني جوازات سفركم وسأقوم بختمها وإنهاء إجراءات الدخول كي لا نتأخر". تصل السيارة إلى نقطة الجوازات في منطقة الحدود بين الإمارتين المتجاورتين، فيترجل الجميع منها ريثما ينتهي زميلهم من إتمام إجراءات الدخول، في الوقت الذي يقوم فيه موظف الجوازات بالتدقيق عليها وعلى الوجوه، قبل أن يقوم بختمها. دقائق تستغرقها هذه العملية، ثمَّ يعود الجميع إلى أماكنهم ليواصلوا رحلتهم إلى أبوظبي، تلك الإمارة التي بدأت عهداً جديداً منذ ما يقارب العامين.

كان اسم حاكمها الجديد يتردَّد على كلِّ لسان، فلا حديث للناس سوى «الشيخ زايد» الذي جاء ليغيّرَ مسار الأحداث في السادس من شهر أغسطس عام 1966م، ذلك اليوم الذي أطفأ فيه زايد لهيب ذلك الصيف، وجعل أيام ال عام كلّها ربيعاً، فكان تسلُّمه مقاليد الحكم في أبوظبي فاتحة عهد جديد، طوت به أبوظبي صفحةً، وفتحت صفحات مشرقة بالأمل. انتشر صيت زايد في الإمارات المجاورة فجاءت الجموع مهنئة، وتوافد الناس من كلِّ مدينة وقرية ليشهدوا زمناً تتسارع فيه وتيرة حركة التغيير في أبوظبي، وتتبدل الصورة، وتكتسي رونقاً جديداً، ومن بين تلك الوجوه ظهر وجه ذلك الفتى الصغير الذي كانت مداركه تتفتّح والعهد الجديد يطرق أبواب التغيير بشدة. تصل قافلة السيارات إلى مشارف المدينة التي طالما تردَّد اسمها كثيراً على لسان والده الذي ولد بها وعاش سنيّ حياته الأولى فيها، وما زالت ذاكرته تختزن الكثير من ملامحها. تتجوّل عينا الفتى في المدينة بعد أن عبرت السيارة جسر «المقطع»، فيرى مساحات

> **هكذا انطبعت الصورة الأولى عن أبوظبي في ذهن الفتى الصغير.. يكبر الفتى وتكبر الصورة وزايد يضيف إليها كلَّ يوم تفاصيل أخرى**

شاسعة من الأراضي الخالية، قبل أن تبدو له مجموعة من البيوت تحتضنها خاصرة البحر، ويمتد الفراغ من حولها، غير أنَّ حركة بناء غير عادية كانت آخذة في الزحف على ذلك الفراغ. هكذا انطبعت هذه الصورة الأولى عن أبوظبي في ذهن الفتى الصغير بعد أن أمضى فيها أياماً. يكبر الفتى وتكبر الصورة، وزايد يضيف إليها كلَّ يوم تفاصيل أخرى، فتتحقَّق أحلامٌ كبيرة، ويتوحَّد الوطن، وتصبح الإماراتُ المتفرقةُ دولةً متحدةً، ويختفي ذلك «الكشك» الخشبي الذي توقَّفت عنده قافلة الفتى في أواخر الستينيات من القرن الماضي لختم الجوازات، بل تختفي تلك الجوازات نفسها ليحلَّ محلها جواز واحد، ويصبح زايد هو رمز وحدة الوطن، وباني نهضته الحديثة، وقائد مسيرته.

خمسون عاماً هي عمر تلك الصورة، شاهد الفتى خلالها آلاف الصور، وبقي للصورة الأولى حضورها الذي يتوهّج كلما حلّت مناسبة عيد جلوس زايد الميمون، حتى بعد أن انتقل زايد، عليه رحمة الله، إلى الرفيق الأعلى. فلولا ذلك اليوم ما كانت تلك الرحلة، وما كان ذلك العبور الكبير للوطن نحو المستقبل.

كاتب من الإمارات*

or **Salwatu al ghareb wa uswatu al areeb**, and the journey of Ahmad bin Autaiwer al Jannah (died in 1849), called **Rihlat al munah wal menna** (the journey of destiny and grace).

Travellers' Impressions

Western trips include famous ones, such as the journey of Carsten Niebuhr, in which he described the provinces of the Arabian Peninsula and the journey of the French writer and poet Charles Didier in 1854, which was collected in his book **Sojourn with the Grand Sharif of Makkah**. Didier began his journey from Egypt, met Grand Sharif of Mecca Abdul Muttalib bin Ghalib in Taif, and described the route of Jeddah and the Red Sea, and the people he met. Didier's book also contains some personal impressions of the public places and people, and some accurate daily observations that were written about the conditions of Hijaz in the early second half of the nineteenth century. Reading Didier allows you to find a great behavioural analysis of all these characters. In more than one place, Didier repeats that his trip came by chance and has no political justification.

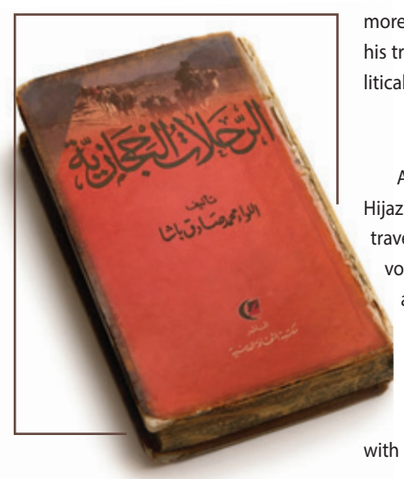

Writings and Summaries

Among the travellers who visited Hijaz was Charles Doughty, an English traveller who joined a pilgrimage convoy under the pseudonym "Khalil" and arrived in **Mada'in Saleh** in 1876. He was able to walk around the region, copying inscriptions and engraved drawings. On July 5, 1878, Doughty travelled with a convoy of pilgrims to Hijaz. He arrived in Taif, then went to Jeddah in August 1878 and wrote **Travels in Arabia Deserta**, in which he drew a unique picture of the region, about the Bedouins and their lives; their generosity and customs, highlighting many paradoxes in their lives.

Mohammed Sadiq Pasha was the first to take a photograph of the Prophet's Mosque in 1861 and a photograph of the Meccan Sanctuary in 1880

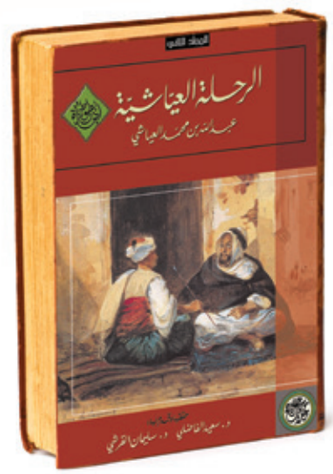

There are also many summaries of Western journeys to Hijaz, including **A la Decouverte de L'Arabie** (the discovery of the Arabian Peninsula), through which French researcher Jacqueline Pirenne tried to collect the proceeds of five centuries of adventure and science to tell their interesting stories and record their services in the field of human knowledge, through these trips, which have multiple aspects of writings in their contexts, and are difficult to limit due to their multitude and diversity.

Book Title: Rum Seljuq Architecture, 1170 - 1220: The Patronage of Sultans
Author: Richard P. McClary
Published: January 01, 2017
Publisher: Edinburgh University Press

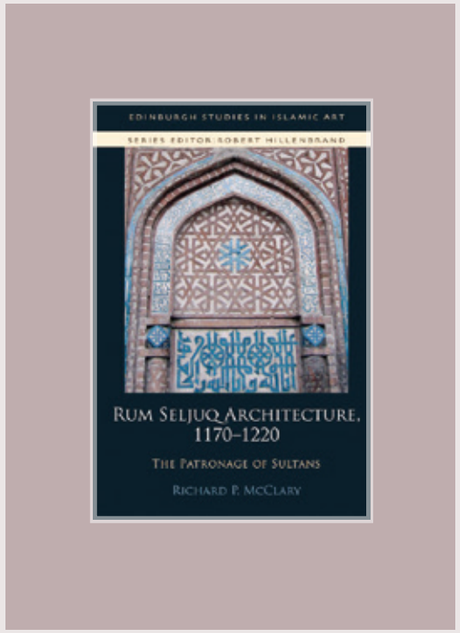

This lavishly illustrated volume presents the major surviving monuments of the early period of the Rum Seljuqs, the first major Muslim dynasty to rule Anatolia. A much-needed overview of the political history of the dynasty provides the context for the study of the built environment which follows. The book addresses the most significant monuments from across the region: a palace, a minaret and a hospital are studied in detail, along with an overview of the decorative portals attached to a wide array of different building types. The case studies are used to demonstrate the key themes and processes of architectural synthesis and development that were under way at the time, and how they reflect the broader society.

The book presents buildings never previously published in English such as the Kilij Arslan II palace kiosk in Konya, the minaret of the Sivas Great Mosque, and the nearby 'Izz al-Din Kay Kawus I hospital and tomb complex.

It covers the whole region, rather than the buildings of just one city or one ruler, giving clear and concise history of the period 1170-1220. The book includes c170 line drawings and photographs, many in colour.

About the Author

Richard McClary received his doctorate, entitled "The Rūm Saljūq Architecture of Anatolia 1170-1220", from the University of Edinburgh in 2015. Prior to that he was awarded an MA in Islamic Art and Archaeology by the School of Oriental and African Studies, London University in 2011. He has lectured extensively on the topic of Medieval Islamic architecture around the world and has conducted fieldwork in India, Turkey, Central Asia and the Middle East.

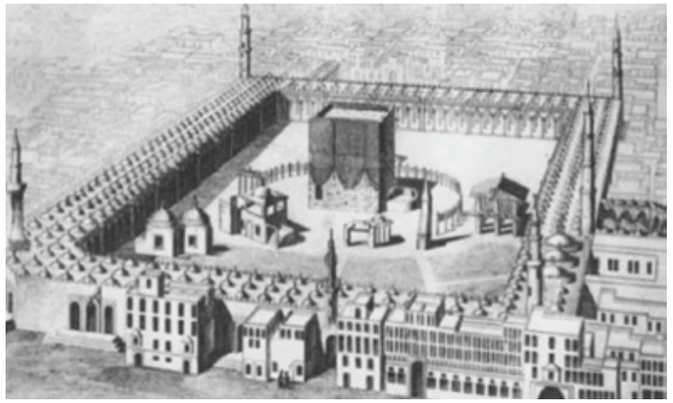

Hajj and Hijaz in the Books of Travellers

Mohamed Baba

Islamic heritage is full of treasures of forgotten journeys and peer-reviewed literature about journeys. Part of this heritage is related to the description of an entrenched religious obligation in the Islamic conscience, namely, Hajj, to which the Westerners and Muslims, alike, have devoted plenty of room in their writings, whether to describe the road, the urbanization of the Hijaz, or going deeply into the sacred monument in order to convey a close image of these rituals.

Tuhfat Al-Nuzzar

Among the famous books is **Tuhfat al-nuzzar fi gharaib al-amsar wa-ajaib al-asfar** (A Gift to Those Who Contemplate the Wonders of Cities and the Marvels of Travelling) by Ibn Battuta (died in 1377 AD). Ibn Battuta began his trip to Hijaz from Damascus describing the road and their journeys through Bosra to Tabuk, and then to Tayba, the city of the Messenger of Allah may peace be upon him, providing information on the stations of the trip and the habits of the pilgrims of the Levant.

He also described Tayba and its Holy Mosque, giving accurate details of the Prophet's Mosque, about which he said it was rectangular "and surrounded, in four sides, by flagstones. In the middle, sand is spread over the **Sahn** (courtyard). The Holy Mosque is also surrounded by a paved street with carved stones. Located in the southeast of the Holy Mosque, Holy Raudah, all Prayers and Blessings of Allah be upon its inhabitant, has a magnificent design, hard to describe, and is illuminated by fine and stunning marble sculpture".

Ibn Battuta described Holy Mecca saying: "a big town of adjacent buildings inside a valley surrounded by mountains, where visitors can only see the town when they reach it".

He also said about the Sacred Mosque "it is in the town centre and has a wide courtyard. It extend more over 400 cubits from east to west, where the Holy Kaaba lies in the middle of it".

In addition, Ibn Battuta mentioned the Black Stone, the Holy Shrine, Tawaaf, Zamzam, the doors of the mosque and the area around the Gravestone. He also mentioned the scholars and people and their virtues. Moreover, he narrated a number of stories in different contexts that give details about the Hajj and its customs saying: "On the first day of the month of Dhu al-Hijjah, drums and tabors are hit in times of prayer at day and night, announcing the blessed season. Hitting the drums continues everyday till the day of heading to Mount Arafat..".

Ibn Battuta mentioned the covering of the Kaaba that was sent on the Day of Sacrifice from Egypt to the Sacred House, and the way it was let down on the Holy Kaaba.

Ibn Battuta, (died in 1377 AD), began his trip to Hijaz from Damascus describing Taybeh and its Holy Mosque and giving accurate details of the Holy Kaaba.

Al-Ayyashi Journey

Among the heritage treasures is the journey of Abu Salim ibn Abi Bakr al-Ayyashi (11th century AH / 17th century AD), known in the scientific fields as **Taedad al manazel al Hijaziah** (the listing of Hijaz houses), **Al tareef wal ijaz bi baad ma tad'o elihe fi tareeq al Hijaz** (Defining and summarizing of what is necessary in the way of Hijaz) and **Rihlat al-Ayyashi al sughra** (The minor journey of al-Ayyashi).

Originally, it is a letter sent by the author to one of his companions, scholars of Fez who were taught and endorsed by Ayyashi. It portrays the convoy of the Sijilmassa pilgrims within the pilgrimage journeys of Morocco.

Scholar and the traveller Abu Salem al-Ayyashi summed up in his **Minor Journey** (1068 AH / 1657 AD) the stages and houses on the way to Hijaz. This letter was dated on 28 Rabi I, 1068 AH corresponding to January 3, 1658 AD.

In this letter, Ayyashi provides his companion with tips of interest to travellers setting out on their journey to Hajj, including the scientific names of urban areas and names of scholars on way from Sijilmassa to Hijaz, in addition to the supplies they need and the feed for animals. He also mentioned the markets on the road and the different goods from one place to another. Moreover, he reminds travellers to be cautious about travel times from one place to another to reach Hajj on time.

The Egyptian Caravan (Mahmal)

Among the famous writings on Hijaz trips are the works of Muhammad Sadiq Pasha (1822-1902), which comprise his account of pilgrimage trips, when he used to travel with the Egyptian Caravan.

These works depicted the journey to Hijaz and they were published under the following titles: **Nubza fi istekshaf tareek al ard alhijaziah mina al wajh wa yanbu albahr ela almdeena alnabaowyah** (A Brief of exploring the way of Hijaz land from Al Wajh and Yanbu to Madinah) printed in Cairo in 1294 AH (1877 AD), **Masha'al al Mahmal** (Caravan Torch) printed in Cairo in 1298 AH (1881 AD), Daleel al Hajj lil wared ela Mecca wal madeena min kulli fajj (Hajj guide for arrivals to Mecca and Medina from far and wide) printed in Cairo in 1896 AD by Bulaq Press.

Mohammed Sadiq has visited the Hijaz lands several times, initiating his first visit to Medina in 1277 AH (1860 AD) together with governor Said Pasha. His second visit to Medina was in 1861, which was recorded in his book **A Brief of exploring the way of Hijaz land.** Seeking to perform Hajj, Sadiq made his third and forth visit in 1880 and 1884, recording their events in his books **Masha'al al Mahmal** (Caravan Torch) and **Kowkab al hajj** (Hajj Planet). His last trip was on an official mission with the intention of handing over wheat – alms collected form Mecca and Medina - in Jeddah in 1885, that was mentioned in the footnote of Kowkab al hajj.

It is believed that Mohammed Sadiq, who had a camera in his position, was the first to take a photograph of the Prophet's Mosque in 1861. He also took a photograph of the Meccan Sanctuary and other sites related to Hajj in 1880, as was pointed out by some researchers including William Facey.

There are also many other books that depict Hajj and Hijaz, such as **the journey of the Ibn Masum Al Madani**,

The paper refers to the role of Sheikh Saeed bin Maktoum in the consolidation of security, such as the news of the attack by some aggressors from a tribe on a camel belonging to Bani Yas in 1925, where the ruler of Dubai dispatched a force led by his brother Hasher bin Maktoum to hunt down those aggressors.

Haj Youssef Al Serkal and Mohammed Abdullah Al-Yamani, as stated in 207th issue on 26 December 1928. The establishment of Al Sa'ada School seems to be close to the date of establishing Al Falah School in Dubai by the famous pearl merchant Muhammad Ali Zainal in 1928. However, we did not know through Al Shoura newspaper, whichever was earlier. We can say that these three schools were the core of modern formal education in the Emirate of Dubai.

As for other cultural aspects, the Arab press in general in Dubai had followers and readers of the educated class. One example of this is the presence of an early Shoura correspondent in Dubai: writer Ahmed Bin Sultan Al Sulayem. We also find on the pages of Al Shoura some correspondence and other subjects sent by other individuals residing in Dubai, such as Abdullah Al-Sanie in 50th and 80th issues, Mr. Ahmed bin Mohammed Al-Mihdhar in 118th issue and others whose names were not mentioned in other issues. Most of these correspondence and articles discussed the political situation in the region in general and in Dubai in particular.

Perhaps this interest in the press and the awareness of its role by the intellectuals of Dubai in that period made the British fear its political influence on people. For instance, we find in the 133th issue of Al Shoura news about banning all newspapers in Dubai and confiscating them in the Post Office, whether they were Egyptian, Syrian, Iraqi or from Mecca. However, Al Shoura in its 136th issue, denied the validity of this news based on what was written from Bombay. But we find the newspaper after two years, specifically in its 310th issue on January 28, 1931 confirm the banning of newspapers from entering Dubai and its abolishment thereafter.

The paper referred to the fear of reinstating the newspapers ban because of the confiscation of all articles issued from Dubai to newspapers. In its 319th issue, the paper published a statement from its correspondent in Bandar Abbas telling that there was no ban on newspapers entering Dubai at any time, rather there has been constriction that didn't involve the articles written to newspapers. Whereas, in 335th issue, there is a reference to the threat of the expulsion of one of the teachers of Ahmadiyya School to Zubayr for sending materials to newspapers!

We also find on the pages of Al Shoura a documentation of some of the literary and artistic production of Dubai's intellectuals in that period. Those intellectuals expressed their emotions and feelings in prose and poetry and published in the Arab press. For example, the writing of Abdullah bin Ali Al Sanie about the freedom fighters in the Moroccan countryside led by Abdelkrim al-Khattabi in the 50th issue, and his writing about the calamity of Damascus in the 80th issue. Other examples are: a suggestion that the newspapers should adhere to the Islamic calendar instead of the Gregorian calendar in the 83th issue, and the poem of Ahmed bin Sultan bin Sulayem praising Solomon Baroni Pasha, published in the 103th issue. In addition to his other poem in praising Mr. Hamad bin Faisal Al Busaidi in the 114th issue, and the poem of Salem Al Owais about Syria in the 133th issue.

We also find, in the paper, trips of Dubai's intellectuals to abroad countries. There is no doubt that these trips had the impact of strengthening their relations, expanding their perceptions and acquisition of knowledge and mingling with other cultures, including the journey of Ahmed bin Sultan bin Sulayem to Bombay in 1927, his passage, on his way back, to Muscat, his visit to Samail to meet Soloman Pasha Baroni and his journey from Dubai to Bahrain in the same year. Al Shoura also published a story about the journey of Sheikh Manie bin Rashid to Bombay in 1927.

It can be said that a researcher in the history of the Gulf in general and in the history of the UAE in particular will find the press articles published in Al Shoura, helpful to bridge some of the gaps, analyze some incidents, find out about some conditions, and open up new possibilities for useful research and studies. These articles are more like an instantaneous historical record that includes news, references, attitudes and brief survey of some of the events that were taking place during the period (1925-1931).

* Saudi Researcher

Tawash .. Pearl merchant

I ask a lot about the meaning of "Tawash" and about his craft called "tuwashah". Tawash, in our dialect, is the merchant who sells pearls, and this name is not given to any other profession, except this one, as it is common in all Arabian Gulf countries.

Consequently, if you ask old men about the word origin, they cannot tell you anything save it was inherited from the old generations. They cannot be blamed for most of them do not know how to read and write. How can they be asked about the derivation of a word that was very famous at that time, such as Tawash, whom fishermen used to wait for to sell him what they had obtained from diving deep in the Arabian Gulf.

I say: at some point in time, vocabularies, idioms and proverbs spread, thereafter they become prevalent and understood by their users. Some vocabularies are very ancient; it is not known who coined them. A term or vocabulary that did not exist before, must be uttered by one person to spread, or it must be agreed upon by the courts of the caliphs, sultans or people of trades, commerce and science. After that it spreads and becomes well known. In this way, vocabulary and terms increase among people in any language around the world.

Among strange vocabularies that do not exist in the old dictionaries is the word Tawash. In Arabic, the plural form is Tawaweesh, and the verb form is Yatoosh. It means pearl merchant, and it took me a long time to search for its origin and I believe this vocabulary is derived from the following:

First: watsh

In watsh (small donations), a reversal between the sounds "wa" and "t" occurred. In Arabic many letters are reversed, for instance, jabz and jazb. Consequently, watsh became tawsh and thereafter tawash. Tawash (pearl merchant) used to pay less when he bought pearls, and ask for higher price when selling them. Arabs called him tawash, then this trade was called tuwashah. I appreciate this derivation and it can be true.

Second: tawsh

According to old dictionaries, tawsh means "imprudence" and "debt delaying and procrastination". A pearl merchant might be called "imprudent" due to his frequent travels by sea in search for rare pearls. And he might be called "procrastinator" for procrastinating and not paying money to people who sold him pearls. However, one can object this interpretation asking "how can a merchant be imprudent?".

pearl merchants trading on board a dhow

How an imprudent person becomes a merchant? This objection contradicts with the first meaning of the vocabulary: "imprudence". As for the meaning "debt delaying and procrastination", a merchant has always had plenty of money to buy and compete with other tawaweesh "merchants", which weakens this interpretation and even abolishes it.

Third: Tawashi

Tawashi is a Turkish vocabulary that means a castrate servant; a common title in the time of the Turks and Mamluks in Egypt, that was given to close servants. Tawashi were carrying out many of the special tasks of kings and princes and some may become emir, the most famous of which was the famous Qaraqosh who was working in the service of the conqueror Salahuddin Ayubi .

Those tawashi used to control the money of the sultans, and enter their palaces; they were also close to palace women and had authority and money. This title may have spread over this region due to their travels to the Arabian Gulf, during the Mamluks era, to buy pearls for princesses. Then, when tawashi left and pearl trade was over in Egypt and other cities, the title was given to everyone who worked in the pearl trade.

The house of Ibn Luqman is the same….

Restriction remains and tawashi shouts..

Ibn Khaldun explains this verse saying: "in orient counties tawashi means castrate, and is often called servant".

I do not wish the last derivation to be the right one, because it is derived from a non-Arabic language that has a repugnant meaning. There are other derivations but I did not find them valid.

From Snapchat of
Jamal bin Huwaireb
Jamalbnhuwaireb

Writer Ahmed bin Sultan bin Sulayem was the newspaper reporter in Dubai at the time. He covered the details of the visit of Al Thâalbi, especially the concert held by the Ahmadiyya School to honor the guest.

ground installations, which was not easy due to opposition of the rulers and the people who feared the colonial influence in their country.

Britain used its dominant power to threaten the rulers exercising pressure on them to agree. This period was not without internal disputes and conflicts between the Emirates or within the same Emirate. One way or another, the intensive British presence, during this period, has played a significant role in intervening in these internal disputes in order to preserve its strategic interests in the region. This period also witnessed frequent display of British power under the different pretexts including eliminating the arms trade and the slave trade.

In terms of economic activity, the Arab Emirates were dependent on one economic activity, the diving season and the significant revenues it generated. It was instrumental in activating the trade movement in the region by importing and exporting. The global demand for pearls in the Gulf reached its peak in 1925, where the revenues of pearl exports in Trucial States, alone, were 10 million Indian rupees.

But in the late 1920s, the Japanese cultured pearl emerged as a rival to the natural Gulf pearls, leading to the collapse of the pearl price in the world markets. This coincided with a global economic crisis during the years 1929-1931, making the Gulf region suffer a major economic blow and leading to deterioration in people's standard of living. God willing, this deterioration did not last long, as oil flowed in the region restoring flourish to economy.

The independence of Dubai and the resistance of its ruler to establish a British Consulate and a Telegraph Office in Dubai, were one of the news covered by Al Shoura newspaper in its 54th issue.

Al Shoura, in its 60th and 63th issues, referred to the solidarity of the Emirate of Abu Dhabi and the Emirate of Dubai with Oman and their formation of a military alliance in 1925 after the rumor of a tripartite agreement between the British and Sultan of Muscat and Ibn Saud to wage war against Oman. It also referred to the emergence of the call to the unity of Oman.

In addition, it pointed out to some disturbances within the UAE, and to the role of Sheikh Saeed bin Maktoum in the consolidation of security, such as the news published in 1925 in the 61st issue, of the attack by some aggressors from a tribe on a camel belonging to Bani Yas, where the ruler of Dubai dispatched a force led by his brother Hasher bin Maktoum to hunt down those aggressors despite the retrieval of the camel. In 234th issue, there is a reference to the details of some internal affairs in Dubai in 1929, while in 293th and 298th issues, the Al Shoura refuted the fabricated news published by an Iranian newspaper about the British attack on Dubai.

Documentation of visits of leaders and dignitaries

Among these visits, which were documented on the pages of Al Shoura newspaper, is the visit of the Tunisian leader Abdelaziz Al Thâalbi. Al Shoura newspaper in its 38th issue, dated July 16, 1925, covered Al Thâalbi's visit to Dubai, who came from India through Muscat in June 1925. It described the reception of Al Thâalbi by Crown Prince of Dubai with his entourage in a private boat holding Dubai's flag. Al Shoura described the reception of Al Thâalbi at the luxurious palace of the Crown Prince, in addition to his visit to the Ahmadiyya School where a concert was held to honor the guest, with its speeches and activities. The visit had a role on the introduction of the UAE to other newspapers; interviews were held with Al Thâalbi in some Arab newspapers in which he spoke about his observations. One of these interviews was published in Al Shoura newspaper in its 81th issue on May, 21, 1926.

"Dubai: a town on the coast of Oman .. Today it is more prosperous than other towns in its development, civilization and intangible and financial power. The adherence of UAE people to Arab nationalism, delights all Arabs and people of the Orient", mentions the newspaper in 1925 in defining Dubai.

Among these visits is the visit of Sohar governor, Mr. Hamad bin Faisal Al Busaidi. Al Shoura published in its 114th issue, dated January 13, 1927, the news of the arrival of the brother of Sultan Timur bin Faisal bin Turki al-Busaidi, Mr. Hamad bin Faisal, Sohar governor, accompanied by 170 of his entourage and soldiers to Dubai on Thursday, 19 Jumada I, 1345 AH. He was greeted with enthusiasm and welcomed by the ruler of Dubai Sheikh Saeed bin Maktoum, Sheikh Manie bin Rashid and a number of elders and dignitaries. On the third day of his visit, a ceremony was given to honor him at Ahmadiyya School, and his visit took seven days.

After more than three months of publishing the news about this visit, the special secretary of Sohar governor commented on it, stressing the superiority of Dubai over neighboring countries in trade and explaining the objectives of the governor's visit.

Al Shoura also covered the visit of the founder of Al Falah Schools, Muhammad Ali Zainal, as it published in its 207th issue, on December 26, 1928, the details of the visit of this great Hejazi benevolent and famous pearl merchant, who arrived in Dubai from Bahrain on the morning of Thursday, 18 Jumada I 1347. He was received by Sheikh Juma bin Maktoum, Sheikh Manie bin Rashid and many of Dubai's dignitaries and was hosted by Mohammed bin Ahmed bin Dalmuk.

On Saturday morning Zainal visited Al Sa'ada School where speeches were given to welcome and celebrate him. On the fourth day, Sheikh Sultan bin Saqr al-Qasimi, ruler of Sharjah, invited Zainal to Dubai, thus Zainal visited him and went back to Dubai. On Tuesday, 30 Jumada I, Al Falah School, which Zainal founded in Dubai, held for him a featured event, attended by the ruler of Dubai, Sheikh Saeed bin Maktoum, besides a large gathering of school children and the people of Dubai. On Thursday, 2 Jumada II, he boarded on a steamer called Broda leaving Dubai to Bombay, India.

Chronicling the Cultural Movement

We find in the folds of news published by Al Shoura during the period (1925-1931), useful references to researchers in the emergence of the scientific movement, indications of the general cultural situation in this Emirate and the beginning of literary renaissance at that time. For example, in its 38th issue, there is a reference to the establishment of Ahmadiyya School by Sheikh Mohammed bin Ahmed bin Dalmuk, which was visited by Al Thâalbi in 1925. In its 38th and 127th issues, there is a reference to the role of Sheikh Manie bin Rashid in the scientific renaissance in Dubai in general and in the establishment of this school in particular.

In its 38th issue, the paper published on 10 February 1927 an article under the title (A New Scientific Movement in Dubai) about people's attention to the importance of science, which led to renaissance and progress. The paper also mentions the initiative of establishing a scientific school in Dubai, which was in the first place limited to teaching jurisprudence, Arabic language and preaching by a scholar of Al Ahsa. It also mentions that the owners turned it into a school similar to modern schools and brought in teachers from abroad, although there was an objection by fanatic people.

Perhaps the intended school was (Ahmadiyya School), while the article refers to the establishment of another school in Dubai other than this school that year. Perhaps this other school was (Al Sa'ada School) which was founded by trader Mohammed Al-Budour,

Emirate of Dubai in the Arabic Press (1925-1931)

Dubai in Al Shoura Newspaper

Qassim bin Khalaf Al Ruwais

Al Shoura is one of the newspapers that gained prominence owing to its emergence in a critical political period of modern Arab history. The fame and reputation of Al Shoura soared due to the courageous approach it adopted to defend the rights of Arabs and Muslims, refute the actions of colonists, and refuse submission to bargaining chip and backed up writers.

In Cairo, Al Shoura newspaper was established by Arabic Palestinian writer and freedom fighter Mohammed Ali Al-Tahir (1896-1974). Al Shoura published periodicals for seven years starting from 1343 AH / 1924 AD until it ceased in 1350 AH / 1931 AD. It issued 335 publications, and was a field for Arab greatest writers at that time.

Al Shoura possessed a great deal of important news and information about the Gulf countries in general, including the Trucial States, which later formed the United Arab Emirates. Dating back to 40 years prior to the Federation, this news was of great historical importance and scientific significance for researchers in the history of the UAE.

Dubai was the first Emirate of the UAE to be mentioned in Al Shoura newspaper in its 38th issue on July 16, 1925, (24/12/1343 AH) when the Tunisian leader Abdelaziz Al Thâalbi visited Dubai during his tour through the Gulf in the afternoon of Friday, June 23, 1925. Writer Ahmed bin Sultan bin Sulayem, the newspaper reporter in Dubai at the time, covered the details of the visit of Al Thâalbi, especially the concert held by the Ahmadiyya School to honor the guest. The visit was published on the fourth and fifth pages of the newspaper.

Dubai was the first Emirate of the UAE to be mentioned in Al Shoura Newspaper in its 38th issue on July 16, 1925, when the Tunisian leader Abdelaziz Al Thâalbi visited Dubai.

UAE Events

Al Shoura newspaper published the last news concerning the UAE in its final periodical, which bears the number 335 on Rabi I 21,1350 AH (August 5, 1931). This periodical included the details of the death of Abdulrahman bin Saif, Governor of Al-Hamriya published on the third page of the newspaper. The news sources came from Dubai, probably covered by its reporter.

Between issue 38 and issue 335, over a seven year period, Al Shoura newspaper published a total of 64 press materials on the events of the UAE; its relations and men, which were distributed according to the years of publication between 1925 and 1931.

Al Shoura news sources and outlets were also varied, although they often came from its correspondents in Dubai and Muscat. However, Al Shoura also had news correspondents providing it with news in Bahrain, Bandar Abbas, Basra, Amman and Bombay. It also covered some news from Indian, Egyptian and Iranian newspapers as well as readers' correspondence. Periodicals can be distributed according to sources **(in the following table:)**

Most of the articles - about 70% in total - focused on the political aspects due to the continuing unrest in that period, on the part of Oman or the English or within the UAE or between them.

While the rest of articles dealt with the cultural, social and economic aspects. One way or another, more than 50% of these materials were related to the Emirate of Dubai. Since the beginning of the twentieth century Dubai has become an active commercial port for Arabs, Persians, Indians and others. In addition to the presence of educated elites, among which was Al Shoura correspondent, who were in constant contact with the outside world through sending materials to the press about the conditions of Dubai.

Therefore, we will highlight

something about the Emirate of Dubai on the pages of Al Shoura, which defined Dubai in its 38th issue in 1925 "A town on the coast of Oman .. Today it is more prosperous than other towns in its development, civilization and intangible and financial power. The adherence of UAE people to Arab nationalism and their ability to build wealth through pearl trade, delights all Arabs and people of the Orient". News about Dubai in Al Shoura can be summarized in a number of elements:

Monitoring the political and economic situations

1925 was a pivotal point in the political relations with Britain. After the Iranian coup d'état and inauguration of Reza Pahlavi Shah of Iran, the British government decided to change the airway between London and the Indian peninsula from the Persian coast to the Arabian coast. This increased Britain's strategic and economic interests with the Trucial States, which were independent in their internal affairs. The British government had to get the approval of the rulers of the United Arab Emirates to establish the necessary

Rare Old Photos

A blueprint for the Kaaba, and a detail of the columns of the Sacred Mosque, as featured in a classic European book printed in 1750.

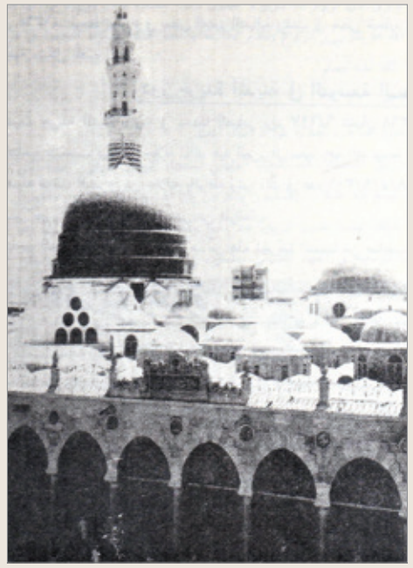

Dome of the Prophet's Mosque in an old image, the Mosque witnessed several expansions through history.

An old picture of Quba Mosque, the first mosque founded on piety, it was built by Prophet (PBUH) and is located in the southern part of Medina.

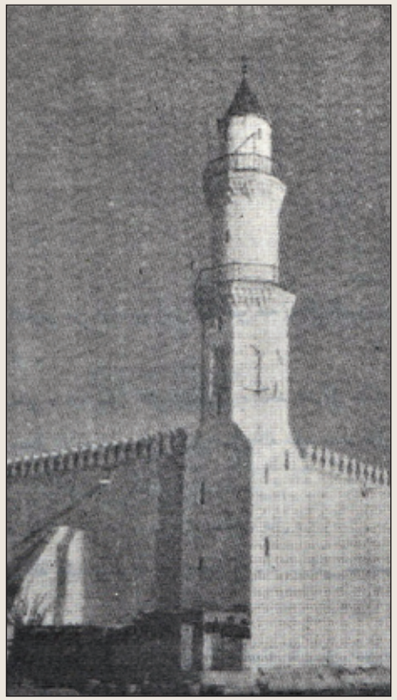

A picture of the Grand Mosque of Mecca as it appears in a classic European book that dates back to 1860.

Pilgrims aboard a ship on their way to Jeddah, as featured in a sketch in Jules Gervais-Courtellemont's book, who described the Hijaz, its cities and people and the details of the pilgrimage route from Algeria in his journey which he began in 1895.

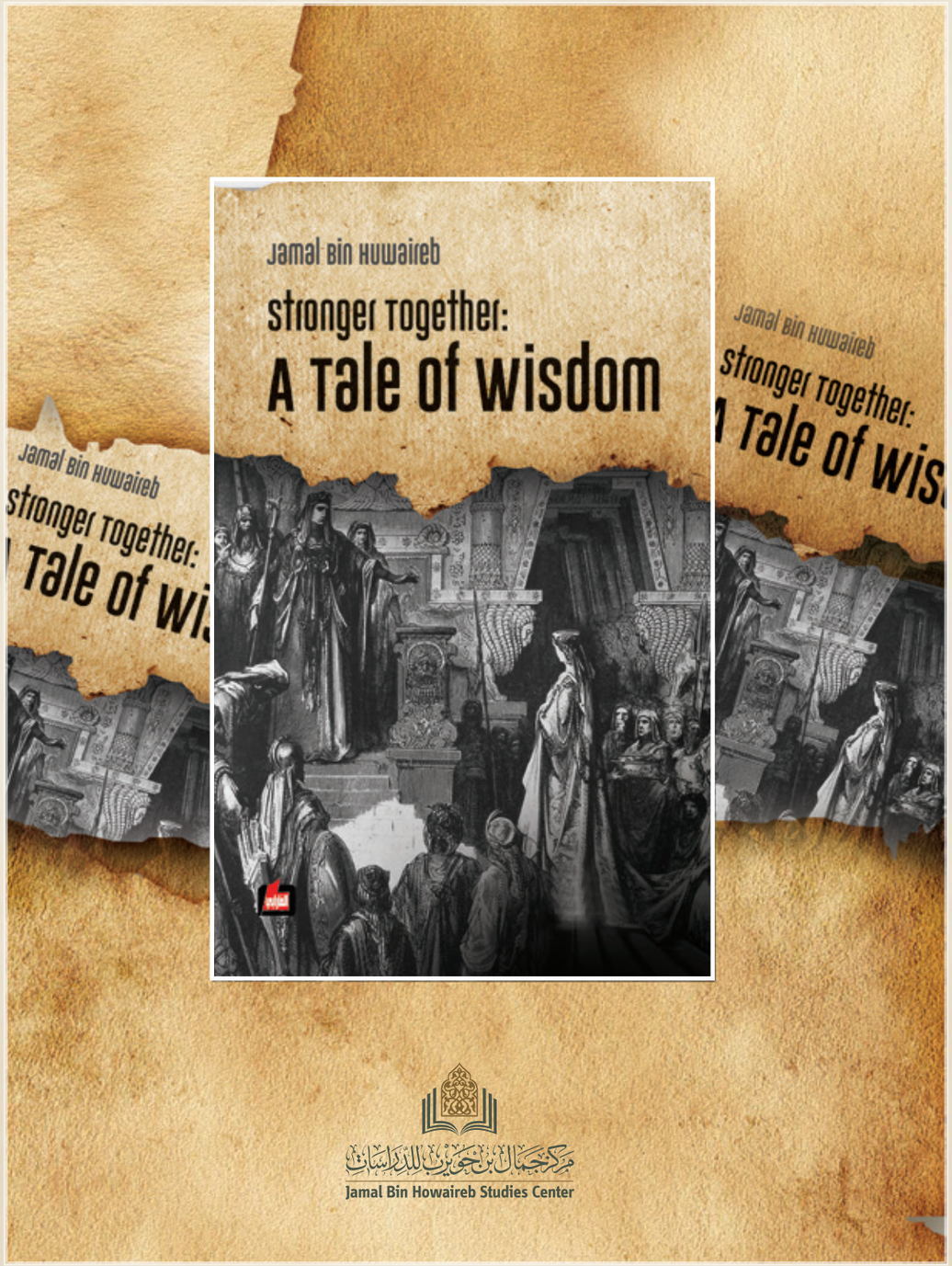

Foreword

Jamal Bin Huwaireb
Chief Editor

Al Kiswa: A celebration of Caliphs and an Epitome of Allegiance

A friend asked me about Kiswa and its history. I told him that Kiswa (the cover of Kaaba) is very ancient and it may date back to the beginning of its existence on earth. However, at that time events were not recorded thus we don't know how Kiswa was draped on Kaaba. This is why we did not know anything about Kiswa other than what Companions of Prophet Muhammad (PBUH) reported from him, in addition to some accounts that were recorded by historians and narrated at the beginning of the Islamic era.

The meaning of Kiswa

Kiswa or Kuswa means clothing where the plural form is Kusa.

The covering of Kaaba before Islam

Al-Waqidi narrated a Prophetic hadith attributed to Abu Hurayrah that Prophet Muhammad (PBUH) forbade insulting As'ad Al-Hemiari (Tubba), saying: "He was the first to drape the Holy Kaaba". This hadith was undermined by Islamic scholars for it was narrated only by Al-Waqidi, however we can deduce that the Kiswa during Jahiliyyah came from Yemen.

Al-Maghāzī, Muhammad ibn Ishāq says: "I have heard from several scholars that Tubba (As'ad Al-Hemiari) was the first to fully cover Kaaba. Tubba saw in his dream that he was covering the Kaaba, thus he covered it with Antaa (wrap of leather). Then he saw in his dream that he was covering it, thus he covered it with openable Wasaeel (Yemeni striped covers)". From this quotation we can figure out the materials used for Kiswa in those days; it was draped with a covering of leather, thereafter, in Yemeni striped clothes.

The Kiswa in Islam

Prophet Muhammad (PBUH) and his successor Abu Bakr draped Kiswa on Kaaba. When Egypt was conquered in the reign of Omar, Omar, and the Caliphs who succeeded him, covered Kaaba with Copati, clothing attributed to the Copts. It is said that Muawiya used to cover it with two wraps: Deebaj (silk garment) in Ashura (the Tenth of Muharram) and Copati at the end of Ramadan.

It is said that Al-Ma'mun used to cover Kaaba three times a year, in red silk on Yawm al-Tarwiyah (the Day of Quenching Thirst) (8th of Dhul Hijjah), with copati on the 1st day of Rajab, and with white silk on the 27th of Ramadan.

Some accounts mention that the covering of Kaaba was white during the period of the Righteous Caliphs, the Umayyads and the Abbasids. So who was the first to cover it in black? Abbasid Caliph Al-Nasir (died in 622 H) was the first to cover Kaaba in black. He first covered it with green covering and then shifted it into a black one, and this tradition is still ongoing from that period.

In 751 H, Sultan of Egypt AlSalih Isma'il, son of AlNasir Muhammad ibn Qalawun, allocated an annual consecration for the outer covering of Kaaba, in addition to a red inner covering and a green one for the Holy Chamber every five years.

Ibn Ad-Dyaa (died 854 H), describes Kiswa as follows:

(The covering of Kaaba is now made of black silk, and has a white linen liner. The Kiswa is embroidered on one side with Quranic verses starting with Basmalah followed by verses 96 & 97 of Al Imran Sura. Between the Yamani Corners, after Basmalah the embroidery reads the verse 97 of Al Maaida Sura. Between the Yamani Corner and the Western Corner, verses 127 & 128 of Al Baqara Sura are embroidered. Between the Yamani Corner and the Syrian Corner the embroidery reads "the poor slave (to God) Sultan Qalawun ordered to make this holy Kiswa ".)

The connection between Kiswa and allegiance

Some princes forced the Sharifs of Makkah to use their Kiswa only as Sultan Qalawun of Egypt did. Al-Maqrizi mentioned in his work in 754 H: " In Shaaban: Sharif Abu Nemi, the Emir of Mecca, swore to the Sultan and his son to obey them, pledging to drape only the Kiswa coming from Egypt on Kaaba in each season".

The Ottomans took over this task from Egyptians, and thereafter Muhammad Ali Pasha king of Egypt took it over again. Kiswa manufacture was almost limited to Egypt; Muhammad Ali's kiswa was green and used to be delivered by the Egyptian Caravan (Al Mahmal), as did the kings of Egypt who preceded him. It used to be made by workers who learned from old kiswa weavers, in the camel traders souq, before a factory was set up at Makkah by Late King Abdulaziz, RIP, to make kiswa.

jamal@jbhsc.ae

قريباً في المكتبات

زايد بعيون تركية

كتاب يلقي الضوء على حضور المغفور له

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان

في الإعلام التركي ونظرة الصحافة التركية للإمارات

إعداد وترجمة
محمد زاهد جول

تقديم ومراجعة
جمال بن حويرب

من إصدارات

يصدر باللغة العربية والتركية

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center